الأبعاد الفلسفية
والأسس الفكرية للدولة الفارابية

د. خالد إبراهيم أحمد حسب الله

أستاذ مساعد قسم العقيدة والفلسفة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ

الابعاد الفلسفية والاسس الفكرية للدولة الفارابية

خالد إبراهيم أحمد حسب الله

قسم العقيدة والفلسفة – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات – كفر الشيخ – مصر

البريد الإلكتروني : k.hasaballah62@gmail.com

الملخص

من خلال بحث (الابعاد الفكرية والاسس الفلسفية للدولة الفارابية) عرفنا بالمعلم الثاني سيرة ومسيرة ومكانة في المبحث الأول. ثم قدمنا من خلال المبحث الثاني تصورا عن عصر الفارابي بملابساته السياسية والاجتماعية والفكرية، وكيف كان ذلك مؤثرا في مشروعه الفلسفي بشكل عام وتصوره للمدينة الفاضلة بشكل خاص تصورا عكس رغبة المعلم الثاني في تجاوز الواقع المعاش للوصول الي مدينته الفاضلة. هذه الدولة التي أرسى معالمها الفارابي ضمن مشروعه الفلسفي أقامها على عدة أسس فلسفية واعتقادات فكرية تجلت ـ كما ورد في المبحث الثالث ـ في ارتباط الإلهي بالسياسي، ثم تعلق الفيض بالسياسة المدنية، اما ثالثها فهو ضرورة الملة والفلسفة للمدينة الفاضلة على تفاوت بينهما بيناه في ثنايا البحث. وقد اهتم الفارابي برئيس مدينته اهتما بالغا فجعله أساسا لقيامها وحفظ نظامها ومن هنا وضع له فيلسوفنا شروطا لابد من توفرها في هذا الرئيس وصفات ينبغي ان يتحقق بها حتى يكون اهلا لممارسة السلطات الكثيرة والمهمة التي خولها إياه المعلم الثاني والتي شملت السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية والتربوية والعسكرية. وأبناء هذه المدينة ينشدون جميعا السعادة وهي الأساس الخامس من أسس الدولة الفارابية وهذه السعادة لا تتحقق لأبناء المدينة الفاضلة الا بتعاونهم فيما بينهم علي الأشياء التي تنال بها السعادة الحقيقية والا صارت مدينتهم كما يقول الفارابي مدينة غير فاضلة

الكَلِمَاتُ المِفتَاحِيَّةُ :الابعاد الفلسفية – الاسس الفكرية – الدولة الفارابية

Philosophical dimensions and intellectual foundations of the Farabi state

Khaled Ibrahim Ahmed, according to God
Department of Creed and Philosophy - College of Islamic and Arabic Studies for Girls - Kafr El-Sheikh - Egypt
E-mail: k.hasaballah62@gmail.com

Abstract:
Through the research (the intellectual dimensions and the philosophical foundations of the Al-Farabi state), we learned about the second teacher's biography, journey, and status in the first topic. Then, through the second topic, we presented a vision of Al-Farabi's era with its political, social and intellectual circumstances, and how this was influential in his philosophical project in general and his vision of the virtuous city in particular, a vision that reflected the desire of the second teacher to transcend the lived reality to reach his virtuous city. This state, whose features were established by Al-Farabi within his philosophical project, he built on several philosophical foundations and intellectual beliefs that were manifested - as mentioned in the third topic - in the connection of the divine with the political, and then the attachment of emanation to civil politics. . Al-Farabi took great care of the president of his city, making him the basis for establishing it and preserving its order, and from here our philosopher set for him conditions that must be met in this president and qualities that must be achieved in order for him to be qualified to exercise the many and important powers that the second teacher conferred on him, which included the legislative, judicial, executive, educational and military powers. And the people of this city all seek happiness, and it is the fifth foundation of the foundations of the Al-Farabi state, and this happiness is not achieved for the people of the virtuous city except through their cooperation among themselves on the things by which true happiness is attained, otherwise their city will become, as Al-Farabi says, a non-virtuous city.

Keywords: philosophical dimensions - intellectual foundations - the Farabi state

المقدمة:

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد:

تمثل الفلسفة الإسلامية بالمعنى التقليدي لبنة من لبنات الفكر الإسلامي وتعد لونا من ألوان إسهامات المسلمين في البناء الحضاري لما تتمتع به من أصالة وابتكار، وبما قدمته من شروح وتوضيحات لأهم ما قدمته الفلسفة اليونانية، مما جعلها همزة وصل بين الشرق والغرب، وسببا من الأسباب التي كانت وراء ظهور عصر النهضة الأوروبية.

ويعد الفارابي من أبرز أعلام الفلسفة الإسلامية في بلاد المشرق، حيث بلغ شأنا عظيما في المجال الفلسفي بفروعه المتنوعة حتى لقب بالمعلم الثاني، وقد برع الرجل في المنطق والموسيقى والفلسفة الإنسانية والفلسفة السياسية وغير ذلك مما كان محل اهتمام المعلم الثاني.

وتعتبر دراسة هذا التراث الفلسفي للفارابي ولغيره من أعلام الفلسفة الإسلامية ذا أهمية كبرى بالنسبة لنا كبناء للأمة الإسلامية، خصوصا ونحن في مرحلة استعادة مجد هذه الأمة من جديد بعد أن مرت بفترات من الضعف والتأخر في مجالات كثيرة ومن بينها المجال الثقافي والعلمي والفكري.

وفي مرحلة كهذه يجدر بنا أن ننظر في تراثنا الإسلامي وأن نقلب في صفحاته لنأخذ منه ما يعيننا على التقدم ويساعدنا في مهمة الإنجاز الحضاري، ونستبعد منه مالا يتوافق مع عصرنا ولا ينسجم مع مقتضيات واقعنا المعاصر.

وانطلاقا من هذه النظرية أحببت أن أقف مع جانب من الجوانب الفلسفية لدى المعلم الثاني وهو الجانب السياسي، ولم لا؟ وصاحبنا يطلق عليه صاحب المدينة الفاضلة، ورغم كثرة البحوث التي تدور حول فلسفة الفارابي إلا أنني قصدت المشاركة مع غيري ممن سبقونا في هذا المضمار في الكشف عن تجليات فلسفة الفارابي السياسية، هذه الفلسفة التي تعد من أبرز ما قدمه الرجل، وفي الوقت نفسه تعد مما تميز به الفارابي من بين أقرانه من الفلاسفة الإسلاميين الذين لم يهتموا بهذا الجانب السياسي كما اهتم به المعلم الثاني.

ومن هنا جاء هذا البحث بعنوان:

{الأبعاد الفكرية والأسس الفلسفية للدولة الفارابية}.

محاولا من خلال هذا البحث بمعونة من الله وتوفيق أن أكشف عن أهم وأبرز القواعد الفكرية والأسس الفلسفية التي انطلق منها الفارابي في تأسيس مدينته الفاضلة.

وقد جاء البحث في مقدمة وثلاثة مباحث على النحو التالي:

***المبحث الأول:** الفارابي سيرة ومسيرة ومكانة.

***المبحث الثاني:** واقع عصر الفارابي وأثره في فكره السياسي ومنزلة هذا الفكر في مشروعه الفلسفي.

***المبحث الثالث:** الاعتقادات الفكرية والفلسفية للدولة الفارابية.

المبحث الاول: الفارابي سيرة ومسيرة ومكانة

أ –اسمه ونسبه وموطنه:

اتفق المؤرخون على أن اسم فيلسوفنا هو "محمد"، وأنه ملقب "بأبي نصر" لكنهم اختلفوا بعد ذلك في نسبه: فمنهم من يقول هو (محمد بن محمد بن محمد بن طرخان) **ومن** قائل أنه : (محمد بن محمد بن طرخان) [١] ومن قائل أنه : (محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان) [٢] فلا اتفاق إذن – كما يقول الشيخ مصطفى عبدالرازق (على تسمية آبائه ولا على ترتيبهم ، وإذا كان اسم أبيه موضع خلاف فلا غرو أن أحداً من المؤرخين لم يشر إلى اسم أمه ولا إلى نسبها) " [٣]

وكما اختلف المؤرخون في نسبه فقد اختلفوا في وطنه الأول أيضا، فيرى البعض أنه تركي' بينما يقرر البعض الآخر أنه فارسي. [٤]

وعموماً فمن الصعب البت في هذه المسألة برأي قاطع، ذلك لأنه ولد في المنطقة بين بلاد الترك وفارس، ولم تكن بلاد العرب –حينئذ–تعرف الحدود الدولية ولا الجنسية بمثل ما نعرفها في الوقت الحاضر. [٥]

وبصرف النظر عن كون وطن فيلسوفنا هو تركيا أو فارس فإن المؤكد أن الرجل عربي الثقافة إسلامي العقيدة ، فالفارابي لم يبق في مدينته فاراب التي ولد بها في بلاد كازاخستان ، بل رحل عنها صغيراً إلى بغداد واتخذها موطناً له ، فبرزت قابلياته العلمية ببغداد وفيها ذاعت شهرته، وفيها أصبح حكيماً مشهوراً وفيلسوفاً قديراً، وعلى هذا فليس لأبي نصر الفارابي من مدينته فاراب إلا عهد الطفولة والنشأة

(١) اخبار العلماء بأخبار الحكماء ، القفطي ص ١٨٢ ، مكتبة المتنبي بالقاهرة .

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء – ابن أبي أصيبعة ، تحقيق د/ نزار رضا – ط دار مكتبة الحياة بيروت ص ٦٠٣ .

(٣) فيلسوف العرب والمعلم الثاني ، الشيخ / مصطفى عبدالرازق ص ٥٥ ط ١ الحلبي ١٣٦٤ هـ – ١٩٤٥ م

(٤) عيون الأنباء ص ٦٠٣ .

(٥) الفلسفة الطبيعية والإلهية عند الفارابي د/ زينب عفيفي ص ٣٥ ، ط مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة /٢٠١٦م .

الأولى ثم غادراها إلى بلاد العرب، وتربى ببغداد فأصبح عربي الدار والمربى واللغة والثقافة ، والانسان من حيث يوجد لا من حيث يولد . (١)

وبالتالي فالفارابي فيلسوف اسلامي مع أن أصله تركي . (٢)

ب- مولده ونشأته :

ولد الفارابي على الأرجح في مدينة "وسيج" بالقرب من مدينة "فاراب" في بلاد الترك عام ٢٥٩هـ /٨٧٢م قبل وفاة الكندي أول فيلسوف من أصل عربي بعام واحد(٣) ومن المعلوم أن تاريخ ميلاد الكثيرين من العلماء والمفكرين يذكر على وجه التقريب دائماً ، لأنه لم يكن يعنى بتسجيل لحظة الميلاد كما أن موكب التاريخ لا يلتفت إليهم إلا وقد بلغوا مبلغ العلماء والعظماء(٤) أضف إلى ذلك أن الفارابي لم يترجم لحياته ولم يترجم له واحد من تلاميذه .

نظراً لأن المؤرخين ما سلطوا الأضواء على فيلسوفنا ولا ركزوا في عرض حياته الفكرية والاهتمام بسيرته الذاتية إلا بعد انتقاله إلى بغداد ، وهي مرحلة أتت بعد أن قضى الفارابي فترة ليست بالقصيرة في بلاد النشأة الأولى فاراب تبلغ عشرات الأعوام وإذا كنا كما يقول – الشيخ مصطفى عبدالرازق " لا نعرف التاريخ الذي خرج فيه الفارابي من بلده ولا التاريخ الذي وصل فيه إلى بغداد ، فإنا نستطيع أن نتلمس بعض هذه التواريخ استنباطاً من ثنايا كلام المترجمين للفارابي ... ولعلنا نستطيع أن نقدر زمن درسه ببغداد ، ثم اشتغاله بحران ، ثم انتقال أستاذه يوحنا بن حيلان إلى

(١) الفارابي عربي الموطن والمربى . د/ ناجي معروف ضمن كتاب الفارابي والحضارة الانسانية ص ٤٦٢ ط مطابع دار الحرية بغداد ١٩٧٥هـ

(٢) الفلسفة الاسلامية د/ أحمد فؤاد الأهواني ص ٧١ ، ط دار القلم بالقاهرة ١٩٦٢ م .

(٣) تاريخ الفلسفة الاسلامية / هنري كوربان ، ترجمة / نصير مروة ، حسن قبيسي ص ٢٤٢ ط دار عويدات ، بيروت الثانية ١٩٩٨

(٤) المجتمع المثالي في الفكر الفلسفي وموقف الإسلام منه د/ محمد سيد احمد المسير ص ١٦٠ ط/ دار المعارف بالقاهرة .

بغداد ومقامه فيها إلى أن مات بنحو عشر سنين ، فيكون دخول الفارابي إلى بغداد لأول مرة حوالي سنة ٣١٠ هـ " [١] فيكون عمره آنذاك خمسين عاماً.

وهي فترة لا يتصور العقل أن فيلسوفنا قضاها خاوياً من العلوم فارغاً من الفنون ، خصوصاً في ظل ما ذكره ابن أبي أصيبعة من اشتغاله بالقضاء حيث يقول " فقد كان أول أمره قاضياً ، فلما شعر بالمعارف نبذ ذلك ، وأقبل بكليته على تعلمها ، ولم يسكن إلى نحو من أمور الدنيا البتة " [٢] ولا شك أن اشتغال المعلم الثاني بالقضاء مدة من الزمن يوحي بعدة دلالات مهمة منها : [٣]

١- إن رجلاً يتسنم هذا المنصب لا بد أن يكون مؤهلا له تأهيلا علميا كافياً وهو ما يعني أن الفارابي اتقن العلوم الاسلامية من لغة وتفسير وحديث وفقه وغيرها ، أو ألمّ بها بشكل جيد على الأقل .

٢- إن التكوين الأساسي لفيلسوفنا يعتمد بالدرجة الاولى على الثقافة الاسلامية ونحسب أن هذا التكوين بقي ملازماً لشخصه ، لأنه أصبح جزءاً من نسيجه الروحي والعقلي .

٣- ان الاطلاع على الثقافة اليونانية واتقانه لها جاء لاحقاً للمرحلة السابقة،

هذا المنصب القضائي أبرز ما اشتغل به الفارابي في مرحلته الأولى قبل الانتقال إلى بغداد، لكن كيف تحول الرجل بعد ذلك من الاشتغال بالقضاء وعلوم الشريعة إلى الاهتمام بالفلسفة ؟ والاجابة نستلهمها من قول ابن أبي أصيبعة " فلما شعر بالمعارف نبذ ذلك ، وأقبل بكليته على تعلمها ، ولم يسكن إلى نحو من أمور الدنيا البتة " [٤]

(١) فيلسوف العرب والمعلم الثاني صـ ٥٨

(٢) عيون الأنباء ص ٦٠٤

(٣) الانسان في الفلسفة الاسلامية نموذج الفارابي د/ إبراهيم عاني ص ١٩، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣

(٤) عيون الأنباء ص ٦٠٤

وهذا القول يوحي " بأن تحول الفارابي نحو الفلسفة جاء نتيجة انقلاب روحي داخلي وتأمل عقلي ، رافقه نوع من الزهد والتصوف وهو رأي دقيق وجدير بالأهمية " (١)

و على أية حال فقد انطوت مرحلة النشأة هذه وبدأت مرحلة جديدة يقول المؤرخون عنها إنه خرج من بلده وانتقلت به الاسفار إلى أن وصل بغداد وهو يعرف اللسان التركي وعدة لغات غير العربي فتعلم اللسان العربي وأتقنه ، ثم اشتغل بعلوم الحكمة على أبي بشر متى بن يونس وهو مسيحي نسطوري معروف بين تراجمة الكتب اليونانية ، وإليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره ، وعلى الطبيب المنطقي المسيحي يوحنا بن حيلان ، ولم يذكر له المؤرخون اساتذة غيرهما " (٢)

ويفهم من هذا أن الفارابي كان محباً للعلم منذ صباه الباكر ، وقد استحوذت هذه النوعية من العلوم على عقله فاهتم بها ودرسها على يد أساتذتها حتى فاق الكثيرين من زملائه وزاد عليهم في التحقيق والشرح . كما يفهم من ناحية أخرى كيف كانت بغداد في هذا الوقت عاصمة الحضارة والثقافة في البيئة الاسلامية يقصدها طلاب العلم من هنا ومن هناك بقصد التعلم والاستفادة.

ويمكننا القول بأن الفارابي " لم يترك جانباً من جوانب الفكر والعلم إلا كتب وألف فيها وابتكر أو شرح وحلل وفسر.

فقد كان مساهماته بحق رائعة ، ومؤلفاته متفرعة ، واهتماماته متنوعة وشروحه متعددة ويمكن أن يقال أنه أول من ألف في تصنيف العلوم وتقسيمها في كتابه " إحصاء العلوم "

ألف وابتكر وشرح وفسر في الحكمة بجانبيها النظري والعملي في الاخلاق والسياسة في أصول الرياسة والحكم ، في الفقه ، في علم اللغة والنحو ، في الفلك ،

(١) الانسان في الفلسفة الاسلامية ص ١٩

(٢) فيلسوف العرب والمعلم الثاني ص ٥٨

في الطب ، في الموسيقى . فهو بحق رائد التفكير الموسوعي الشامل في الفكر الفلسفي الإسلامي " [١]

وليس هذا بغريب على الفارابي فقد " اعتبره كثير من المؤرخين القدامى والمحدثين زعيم المدرسة الفلسفية الآخذة بالاتجاه المنطقي في الدراسة .

والفارابي فيلسوف بعيد الأغوار متعدد الجوانب وقد استطاع بحق أن ينتزع من مؤرخيه لقب " المعلم الثاني " تشبيها له بأرسطو المعلم الأول " [٢]

ج- نمط حياته ووفاته :

لقد كان الفارابي عصامياً في حياته ، لم ينشأ في بيئة مرفهة كما كان شأن الكندي ، بل نشأ فقيراً ، ولكن العلم رفع شأنه وأعلى قدره حتى أصبح مقرباً من الأمير سيف الدولة الحمداني أمير حلب . [٣]

ورغم هذه المنزلة وعلو القدر إلا أن الفارابي لم يكن " بالرجل الذي تغريه مظاهر الدنيا والجاه ، بل إنه قضى حياته كلها في شظف من العيش ، وكان يكسب قوته بعمل يديه حتى إنه كان يعمل ناطوراً إبَّان الفترة التي ذهب فيها إلى دمشق ، والشيء البارز في حياته هو انقطاعه للتعليم والتأليف وحبه للأسفار " [٤]

ويؤكد هذا أن الذين أرخوا للمعلم الثاني حكوا أنه كان زكي النفس ، متجنباً للدنايا مقتنعاً من الدنيا بما يملك عليه حياته ، يسير سيرة الحكماء ، وكان هادئ الطبع عاكفاً على التأمل والنظر غير مكترث بهيئته ، عاش في دولة العقل ملكاً وفي العالم المادي مملوكاً . [٥]

هذا النمط من الحياة وتلكم الخصال التي تمتع بها الفارابي تدل على أنه كان كبير الهمة متواضع النفس ، تأبى على الدنيا ولم يفتن بزخارفها ، واختار بكامل

(١) نماذج من فلسفة الإسلاميين د/ سامي نصر لطفي ص ١١٩ -١٢٠ ، ط مكتبة سعيد رأفت ١٩٨٣

(٢) في الفلسفة الاسلامية قضايا ومناقشات د/ محمد عبدالستار نصار ص ٧٨ ط مكتبة الانجلو بالقاهرة ١٩٨٢م

(٣) في الفلسفة الاسلامية قضايا ومناقشات ص ٧٧

(٤) الفارابي سعيد زايد ص ١٧ ط دار المعارف بالقاهرة .

(٥) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٨٨ ، وقارن تاريخ الفلسفة في الاسلام . ديبور / ترجمة د/ أبوريدة ص ٢٣٣

إرادته طريق الزهد وعاش عيشة الزهاد ، مع أنه كان بوسعه " أن يستمتع برفه العيش خصوصاً في شيخوخته ايام استظلاله بظل الملك الجواد سيف الدولة بن حمدان . لكنه لم يكن يتناول من سيف الدولة إلا أربعة دراهم فضة في اليوم يخرجها فيما يحتاجه من ضروري العيش ، وهو الذي اقتصر عليها لقناعته ولو شاء زيادة لوجد مزيداً " (١)

إضافة إلى ما سبق فقد كان فيلسوفنا عاشقاً للطبيعة وجمالها الساحر محباً للعزلة التي تعينه على التأمل والتدبر وصفاء الذهن قال ابن خلكان " وكان مدة مقامه بدمشق لا يكون غالباً إلا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض ، ويؤلف هناك كتبه ويتناوبه المشتغلون عليه " (٢)

ولا ينبغي أن نفهم العزلة الفارابية هنا على أنها عزلة سلبية تنم عن ضجر بالحياة وتدل على التبرم من الناس والأنفة من العيش معهم . ولكن الأمر كما يقول العلامة عبدالرازق أن هذه " حياة فيلسوف زاهد وموسيقى شاعر . والفارابي إنما كان يعتزل الناس ويؤثر الوحدة لما رأي أن أمر النفس وتقويمها أول ما يبتدئ به الانسان، حتى إذا أحكم تعديلها وتقويمها ارتقى منها إلى تقويم غيرها " (٣)

ومن صفاته البارزة الثبات والمواظبة على الدرس والمراجعة ، اطلع على الترجمات الفلسفية ، والتأليف التي كثرت في عصره وخاصة على مصنفات الكندي ، ودرسها وتعمق فيها فأثرت فيه ، وعرف تعاليم الأفلاطونية المستحدثة ، واقتفى آثار رجالها في محاولة التوفيق بين كبيري الفلاسفة أرسطو وأفلاطون ، ثم محاولة التوفيق بين الفلسفة والدين متجنباً كل التجنب التدخل في الخلافات الدينية الكلامية .

(١) فيلسوف العرب والمعلم الثاني ص ٦٣

(٢) وفيات الأعيان ج ٥ ، ص ١٥٦

(٣) فيلسوف العرب والمعلم الثاني ص ٦٤

وأثرت الفلسفة في أخلاقه فعاش عيشة الأفلاطونيين المستحدثين فكان في دولة العقل ملكاً وفي عالم المادة صعلوكاً ، وقضى الشطر الأخير من حياته على هذه الحال من الزهد والجهاد العلمي " (١)

وقد عاش الفارابي حياة مليئة بالكفاح والعطاء ، فقد امتد عطاؤه العلمي والفكري إلى أن بلغ سن الثمانين عام ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ – ٩٥١م ، وهنا أفضت الروح إلى بارئها وتوقفت حياة المعلم الثاني حيث توفى في هذا العام بدمشق وكرمه سيف الدولة بن حمدان بأن صلى على جثمانه مع بعض خواصه ، ودفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير . ولقد كانت وفاة الفيلسوف وفاة طبيعية كما ذكر جُلُّ المؤرخين . (٢)

د- مآثره ومنزلته في ميدان الفكر الفلسفي :-

نظر الفارابي إلى الفلسفة نظرة شاملة عبر عنها بقوله " لا يوجد شئ من موجودات العالم إلا وللفلسفة فيه مدخل ، وعليه غرض ، ومنه علم بمقدار الطاقة الإنسية " (٣)

وبطبيعة الحال فإن هذه النظرة الشاملة للوظيفة الفلسفية قد دفعت المعلم الثاني إلى تنويع ثقافته وتوزيع اهتماماته إلى حد كبير بين كثير من فروع العلم المختلفة ونحن نعلم أن الفيلسوف في هذا الزمان " كان له في كل فرع من فروع المعرفة رأي وموقف وكتاب بحيث نجد أن الفيلسوف كان طبيباً وشاعراً وموسيقياً وأديباً ... لأن الفلسفة كانت تحتضن كل هذه العلوم ، كيف لا وقد كانت أمَّاً لها جميعاً " (٤)

---

(١) تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية وآثار رجالها ، عبده الشمالي ص ٢٢٨ ، ط دار صادر بيروت ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م

(٢) الفارابي ، سعيد زايد ص ١٧ ، وقارن : فيلسوف العرب والمعلم الثاني ص ٦٢-٦٣

(٣) الجمع بين رأي الحكيمين للفارابي ضمن كتاب المجموع له ص ٢ مطبعة السعادة ١٣٢٥هـ – ١٩٠٧م

(٤) الفلسفة الإسلامية في المشرق د/ فيصل بدير عون ص ١٩٣ ط مكتبة الحرية الحديثة عام ١٩٨٢م

وسعة أفق الفارابي العقلانية تظهر بوضوح – كما يقول الدكتور مصطفى غالب [١] " في مصنفاته الكثيرة التي عالج فيها مختلف العلوم التي كانت معروفةً في عصره من الطبيعيات الى الالهيات ، وعلوم الدين كالفقه والكلام ، إلى الرياضيات ومشتقاتها ، إلى الفلك والمنطق والاجتماع والموسيقى "

ومما لاشك فيه أن الآثار التي تركها المفكر تعد " مقياساً حقيقياً لبيان أهميته ومكانته التي احتلها في تاريخ الفلسفة ولا نقصد بالآثار هنا الكتب وحسب ، بل وأيضاً مدى تأثيره فيمن جاء بعده من الفلاسفة ، وإلى أي حد امتدت بصماته – إلى – الحلول التي قدمها من جاء بعده للمشاكل التي تعرضوا لها وناقشوها . ولا شك أن تكوين مدرسة فلسفية ، وإحياء الدراسات الفلسفية بها ، إلى جانب نقل وإصلاح وتفسير ونقد العلوم المعاصرة ، سواء كانت محلية أو أجنبية لدليل قاطع على عظمة الفيلسوف . فإذا ما طبقنا هذه المعايير على فيلسوفنا لو جدنا أنه كان فيلسوفاً من الطراز الأول .

فالرجل كان يجيد اللغات الحية في عصره ، وهو قد بدأ فترة التحصيل والدراسة منذ فترة مبكرة كما أنه اعتمد في قراءته وتحصيله على المظان الرئيسية ، حيث توجه بفكره الثاقب إلى الفلاسفة في عقر دارهم كي ينهل منهم ويرتوي ، وهو فيلسوف من جهة إصلاحه وشرحه لبعض أعمال غيره شرحاً وافياً دقيقاً وهو إلى جانب ذلك كله قد دون بنفسه ولنفسه أعملاً خاصة ما زالت حية وباقية إلى يومنا هذا " [٢]

أما عن أثره فيمن جاء بعده فيمكن تلخيص ذلك بالقول بأنه " ما من فكرة في تاريخ الفلسفة الاسلامية إلا وأنت واجد جذورها عند الفارابي " [٣] وأن جميع من أتى بعده من فلاسفة المسلمين لم يفعلوا أكثر من ترديد أو توضيح القضايا التي كان هو

(١) الفارابي د/ مصطفى غالب ص ١٧ ط دار مكتبة الهلال بيروت ١٩٧٩م

(٢) الفلسفة الاسلامية في المشرق ص ٢٠٠ – ٢٠١ بتصرف يسير

(٣) الفارابي د/ مصطفى غالب ص ١٧

أول من أثارها وإذا كان الفارابي بشهادة الكثير من العلماء من أعظم فلاسفة المسلمين الذين هذبوا صناعة المنطق ، وهو واضع أول محاولة منهجية في مجال تصنيف العلوم عند العرب وأول الفلاسفة الكبار الذين حاولوا فلسفة الدين الاسلامي، إلا أنه وكما يقول الشيخ مصطفى عبدالرازق [١] " لا ينتهي فضل الفارابي عند هذا الحد ، بل له أيضاً أنظار مبتدعة وأبحاث في الحكمة العلمية والعملية عميقة سامية وعلى هذا فالفارابي هو أول من صاغ الفلسفة الاسلامية في ثوبها الكامل ووضع أصولها ومبادئها [٢] بل وتميز بأنه من " أكثر فلاسفة الإسلام اشتغالاً بالمسائل الاجتماعية ، فهو يتعرض لها في كثير من مؤلفاته ، ويعني بها عناية تدل على الرغبة والاهتمام ، وبين رسائله القليلة رسالتان رئيسيتان موقوفتان على السياسة والاجتماع وهما " السياسة المدنية" و " آراء أهل المدينة الفاضلة " وكتاب آراء أهل المدينة الفاضلة يكفى وحده لأن يعد الفارابي بين من فكروا تفكيراً منظماً في النظريات السياسية ، ولعله أشهر كتبه وألصقها به ، وقد عرف المتأخرون له هذه المنزلة فلقبوا مؤلفه به وسموه " صاحب المدينة الفاضلة " [٣]

إذن هذه نقطة مضيئة في فلسفة المعلم الثاني حيث امتاز بأنه أعطى في معظم بحوثه الفلسفية الجانب السياسي أهمية قصوى وهي سمة لا نكاد نظفر بها عند من أتى بعده من فلاسفتنا وتجدر الاشارة هنا إلى أن الفارابي قد اهتم " قبل ابن خلدون اهتماماً قوياً بما سماه في مقدمته بالعمران البشري ، وهو بالضبط ما اصطلح القوم اليوم على تسميته "الأنثروبولوجيا العلمية " أي مجموع العلوم الطبيعية والمجتمعية في علاقتها بالإنسان ،أو علم مجموع المعارف التي تدرس الانسان بصفته كائناً حياً ومجتمعياً إذا قارنا معنى "انثروبولوجيا" هذا بمعنى الفلسفة كما حدده الفارابي ، كانت النتيجة أنهما مترادفان " [٤]

(١) فيلسوف العرب والمعلم الثاني ص ٧٠

(٢) في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه د/ إبراهيم مدكور ج١ ص ٣٥ ، ط دار المعارف بالقاهرة .

(٣) المرجع السابق ص ٧٠

(٤) من تاريخ الفارابي إلى تاريخيته د/ محمد عزيز الحبابي ص ١٥٥ ضمن كتاب الفارابي والحضارة الانسانية

وعلى هذا فلا غرابة – في ضوء ما تقدم – أن يطلق على الفارابي فيلسوف الاسلام ، والمعلم الثاني ونابغة فاراب وكلها ألقاب تدل على عبقرية هذا الرجل ومكانته بين أقرانه من الفلاسفة المسلمين ، حيث بلغ شأناً لم يستطع أحد بعده أن يصل إليه حتى صح أن يقال فيه بأنه " فيلسوف المسلمين غير مدافع" (١) ،

أو بأنه " أكبر فلاسفة المسلمين ولم يكن فيهم من بلغ رتبته في فنونه ، و الرئيس ابن سينا بكتبه تخرّج ، وبكلامه انتفع في تصانيفه " (٢) وعلى الرغم من فقدان بعض كتب المعلم الثاني إلا أنه قد بقيت " بعض عيون من قلمه فيها ما يكفي أن تخلد ذكره لا في العالم الاسلامي فقط بل في الانسانية كلها وهذه هي " إحصاء العلوم ، والمدينة الفاضلة ، والموسيقي الكبير ، ولعلك تلمح من هذه الكتب الثلاثة أنه كان فيلسوفاً إنسانياً لا كونياً ، واهتم بالإنسان وأخلاقه وحياته الفكرية والسياسية والفنية أكثر من اهتمامه بالنظر في الأمور الطبيعية والتعمق فيها " (٣)

وعلى الجملة فلو جمعت كتب الفارابي ورتبت وبوبت لكان منها دائرة معارف فلسفية واسعة ، فما وضعه الفارابي من أسس فلسفية أكثر مما وضعه بن سينا وابن رشد وأمثالهما . (٤)

كل هذا يؤكد إنصاف كثير من الباحثين للفارابي حيث رأوا فيه " تلميذاً خليقاً بأرسطو، يتجاوز شرح معلمه إلى صوغ أرائه في قالب عقله ، وإضافة مبتكراته إليها، وتكييفها متأثراً بالدين والروحانية الشرقية ، وتعاليم الإسكندرية ، واضعاً أسس لصرح الفلسفة العربية بنى عليها من عالجوا معضلات الفكر بعده بهذه اللغة فكانوا له تلاميذ " (٥)

(١) أخبار الحكماء للقفطي ص ١٨٢

(٢) وفيات الاعيان ج٥ ص ١٥٣.

(٣) الفلسفة الاسلامية د/ أحمد الأهواني ص ٧٢

(٤) ظهر الاسلام أ/ أحمد أمين ج ٢ ص ١٠٦ ، ط المكتبة التوفيقية بالقاهرة .

(٥) دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية وآثار رجالها ، عبده الشمالي ص ٢٨٨

وترجع مكانة الفارابي العلمية إلى " أنه أنشأ مذهباً فلسفياً كاملاً ، وقام في الفلسفة العربية بالدور الذي قام به أفلوطين في الفلسفة الأفلاطونية الحديثة ، وكما لقب أرسطو بالمعلم الأول فكذلك لقب الفارابي بالمعلم الثاني ، وما لقب بهذا الاسم إلا لأنه أربى على الكندي وغيره من السابقين في تهذيب صناعة المنطق وكشف أسرارها " (١)

ولم يكن تميز المعلم الثاني في المنطق وتهذيبه فقط ، بل أمسك الرجل بقوة بناحية النظر الموسوعي ، وحدد بعمق متجهات الخطاب الفلسفي سواء ما كان لصيقاً بالميتافيزقيا أو ما كان يتحرك في فضاء المعرفة ، أو ما به يقع تحت القول في الاخلاق والسياسية .

(١) تاريخ الفلسفة العربية ، د/ جميل صليبا ص ١٣٧

المبحث الثاني

واقع عصر الفارابي وأثره في فكره السياسي ومنزلة هذا الفكر في مشروعه الفلسفي

توطئة:

الانسان ابن بيئته يتأثر بها ويؤثر فيها ، ولا يستطيع الانسان العاقل البصير بأمر نفسه وعاقبة أمره أن يغض الطرف عما يجرى حوله من وقائع وما يمرّ به من أحداث ، ولا شك أن الفارابي قد استقبل أحداث عصره ووقائع زمانه السياسية والاجتماعية والفكرية استقبالاً يتواءم مع عقله المبدع كفيلسوف وينسجم مع حسه المرهف كشاعر وموسيقى فكيف أثرت الحالة الفكرية السائدة في عصره على رؤيته لنظام الدولة ، وكيف كان رد فعله على الأحداث السياسية والاضطرابات الداخلية والانقسامات المجتمعية، وهل أثر ذلك في تصوره للاجتماع البشري والسياسة المدنية؟

ومهمتنا في هذا المبحث هي إلقاء الضوء على إجابة هذه التساؤلات وغيرها من خلال النقاط التالية :-

أ- الحالة السياسية :

إن من أبرز الأحداث التي جدّت في القرن الرابع الهجري والتي عاصرها الفارابي انقسام المملكة الاسلامية إلى دويلات ، وتلاشي وحدتها وتكتلها اللذين اتسم بهما العصر العباسي الأول . لقد تقهقرت السلطة المركزية في بغداد وعندما تقرب الأتراك والفرس من الخليفة منافسين العرب أنفسهم على أسمى وظائف الإدارة والجيش ، متطاولين عليهم إما ببطشهم وانتهاكهم لكل الحرمات ، وإما بشعوبيتهم ومجد آبائهم .. والخليفة العباسي قابع على كرسيه لا حول ولا مأمن له على حياته ولا عرشه . (١)

(١) الأسس النشكونية والعضوانية لفلسفة الفارابي السياسية والاجتماعية د/ عبدالمجيد الغنوشي ص ١٠٠ من كتاب الفارابي والحضارة الانسانية .

ولقد احتل هذا النفوذ التركي من تاريخ الدولة العباسية حوالي قرن من الزمان (٢٣٢-٣٢٤هـ) وكانت هذه الفترة من تاريخ العرب عبارة عن : خلفاء ضعاف وتغلغل للنفوذ التركي في صميم الحكم وأخص خصائص الحاكم ، وتدخل النساء في أمور الدولة ، وكم من خليفة قتل ، وكم من خليفة مات بعد أن نال من العذاب أشده.(١)

وكان هناك بطبيعة الحال عدة عوامل أدت إلى ضعف الخلافة الاسلامية ثم سقوطها من أبرزها (٢):

١- الشعوبية التي كانت سمة العصر ، فالدولة العباسية قامت على أكتاف الفرس الذين لم يخلصوا لها فقد كان ولاؤهم لمجدهم الذي يتوارثون ذكراه .

٢- الصراع المرير بين العباسيين والأمويين ، ثم بين العباسيين والعلويين ، فقد مزق الولاء الديني الذي قامت على أساسه الدولة الاسلامية .

٣- حركات الاستقلال المتتابعة وازدياد النفوذ الاجنبي داخل قصور الخلافة قد أودى بالسيادة العربية وقطع أوصالها . ولا شك أن هؤلاء الطوائف والأمراء كانوا يقيمون دولاً داخل الدولة وأن هذه الدول كانت تتصارع فيما بينها على الملك ، وتسوق رعاياها سوق الأنعام في هذا التطاحن فتقوم دولة وتسقط دولة بحكم القوة لا بإرادة الشعوب ولا باختيارهم .

ومن البديهي " أن ينتج عن هذا التفتت السياسي وضعف السلطة المركزية ، واضمحلال هيبة الخليفة ودولته انحلال في الاخلاق يتبعه افراط في الملذات ، واستخفاف بالفضائل ، وفتور في الشعور الديني ، وتدبير المكائد والدسائس ضد من ليس مزكى من أولى الأمر وتحت رعايتهم ، ومن البديهي كذلك أن يعم النفاق بين

(١) راجع الفارابي د/ سعيد زايد ص ٦ ، ٧ بتصرف يسير .

(٢) المجتمع المثالي د/ المسير ص ١٦٧

الجماهير وتكون الوجاهة والثروة متفاوتتين بينهم تفاوت خبثهم بل مقدار انهيار إنسانيتهم " [١]

وهذه الأحداث والتقلبات والصراعات الدامية لم يكن فيلسوفنا بعيداً عنها وبالتالي جاءت مدينته الفاضلة لتكون أنموذجاً سياسياً واجتماعياً لمجتمع لا توجد فيه هذه التناقضات إن العالم الاسلامي يومئذ " كان محتاجاً إلى إرساء قواعد مجتمع فاضل يوحد ولا يفرق ، وإلى خلافة راشدة تسمو عن المظاهر الخادعة والأغراض الدنيا ، تؤثر الحق وتبغي العدل وتصون الكرامة "

إن الفارابي لجدير بأن بشارك في هذه الرسالة عسى أن يوفق ويحظى بقصب السبق [٢].

ومن هنا ندرك أهمية وضرورة المحاولة الفلسفية الاصلاحية التي كان لابد أن يقوم بها الفارابي باعتباره مفكراً مبدعاً يرنو إلى الاصلاح والتجديد ، فهل سيوفق في مهمته من خلال ما رسمه في مدينته الفاضلة ؟

ب–حركة الترجمة:

يمتاز القرن الرابع الهجري الذي عاش فيه الفارابي بأنه قرن النقل الحضاري عن طريق الترجمة للعلوم والفنون المختلفة ومن بينها الفلسفة اليونانية .

ولذلك أتيح له أن يقرأ هذه الفلسفة ويطلع على آراء أعلامها خصوصاً أفلاطون وأرسطو ، فتأثر بها وانتقى منها ما يعينه على تحقيق غرضه من مشروعه الفلسفي العام والسياسي بشكل خاص خصوصاً كتاب الجمهورية لأفلاطون ، وهذا شأن التواصل الحضاري بين الأمم والشعوب ولم لا ؟ والاسلام دين منفتح على كل الثقافات وليس ديناً منغلقاً ، هكذا علم الاسلام أتباعه أن يطلعوا على ثقافة الآخر وأن يأخذوا منها ما يتواءم مع عقيدتهم وثقافتهم الدينية فهي قراءة انتقائية بصورة

(١) الأسس النشكونية ص ١٠٠ – ١٠١

(٢) المجتمع المثالي د/ المسير ص ١٦٧

تحليلية لأخذ المفيد وطرح الضارّ منها ، لأنه من غير المعقول أن تنغلق الأمة على نفسها ثقافياً وفكرياً وعلمياً ، لأن ثمرات العلم ينبغي أن تجتني . ومن هنا استفاد الفارابي في فلسفته السياسية من تراث اليونان وآراء أفلاطون وأرسطو عبر الترجمة التي ازدهرت في العصر الذي عاش فيه، هذه الترجمة التي ظهرت وتطورت من الطب والكيمياء إلى المنطق والإلهيات .. وتحددت ملامح الفلسفة الإسلامية وشقت مسارها في حياة المسلمين وتكونت من :

١- كتب أفلاطون وأرسطو

٢- مدرسة الاسكندرية والأفلاطونية الحديثة .

٣- عقائد الهنود والفرس وحكمتهم .

٤- الفرق الدينية النصرانية التي أثرت على عقول المترجمين من النساطرة واليعاقبة.

وقد اجتمعت تلك العناصر وتمازجت مع ما تموج به البيئة الإسلامية حينذاك من اتجاهات سياسية ومذاهب دينية فتكون مزيج نادر وعجيب [١] كان له أبلغ الأثر في التكوين الفلسفي للمعلم الثاني وفي تشكيل رؤيته السياسية ونظرته الاجتماعية كما سنرى بعد ذلك .

ج – الحالة الاجتماعية:

في عهد الخليفة المعتصم دخل المجتمع الاسلامي عنصر جديد هو الأتراك، وأصبح شعب المسلمين يتألف من العرب والفرس والمغاربة والأتراك ، ولم يلبث العنصر الأخير – وقد استعين به في الجيش – أن أصبح أداة فعالة وقوة يخشى بأسها حتى على الخلفاء أنفسهم ، وهم الذين استعانوا بهم في تقوية نفوذهم ، فاضطر هؤلاء أن يبحثوا عن نصير آخر يقيهم شر غدر الأتراك ، فاستعانوا بجنود مرتزقة من المغاربة والاكراد والديلم ، وكان من الأخيرين ما كان من الاولين تدخل في الحكم وعبث وفساد . وقد تبعت الطوائف الدينية الطوائف السياسية مدًّا وجزراً

(١) المجتمع المثالي د/ المسير ص ١٧٠- ١٧١ بتصرف يسير

فالسنيون مثلاً كانوا يتمتعون بالحرية والطمأنينة في أثناء سطوع نجم الأتراك وفي عهد إمرة الأمراء، علي عكس الشيعيين الذين لحقهم شيء من الطمأنينة في ظل حكم آل بويه وبالطبع قام بين الفريقين تنافس ونزاع عنيف خضب أرض المسلمين بالدماء . (١)

أضف إلى ذلك ما ألمحنا إليه سابقاً تعليقاً على الحالة السياسية من تفتت وتفرق بين أبناء الأمة وضعف للدولة وتمزق للخلافة مما أدى إلى " انهيار في الأخلاق وإفراط في الملذات واستخفاف بالفضائل، وفتور الشعور الديني ، وكثرة النفاق في هذا البؤس الاجتماعي الذي فقد الإنسان فيه إنسانيته ، ووصل التفاوت الاجتماعي القائم على القهر والسيطرة وعلى الداء السبعي الذي كان – حسب رأي الفارابي – التبرير الوحيد الذي يبرر به الأقوياء سيطرتهم على الضعفاء إلى أقصى حدوده " (٢)

وبطبيعة الحال عاش فيلسوفنا وسط هذه الظروف وعانى من هذه الظواهر الاجتماعية ولم يكن بعيد عنها فتأثر بها وأثرت فيه ، وبالتالي لم " تكن مدينته الفاضلة سوى دلالة روحية واجتماعية وسياسية وتاريخية عن حركة المجتمع العربي الاسلامي في القرن الرابع الهجري . كانت هذه المحاولة تعبيراً عن امتزاج عالمه الفكري بواقعه الاجتماعي والسياسي. فإذا وقفنا على خصائص هذا المجتمع الفوضوي الذى لا يعرف سوى قانون الغاب ، أدركنا جدية و ضرورة المحاولة الإصلاحية التي كان لا بد للفارابي أن يقوم بها لكى يضمن الوحدة و النظام والعدالة في مدينة يتمتع كل من فيها بالأمن و الاستقرار والعدالة حسب مؤهلاتهم الطبيعية وكفاءتهم الوظيفية (٣) .

(١) الفارابي – سعيد زايد ص ٨

(٢) الفلسفة الطبيعية والالهية عند الفارابي ص ٤٥

(٣) المرجع السابق ص ٤٥

د-الناحية الفكرية:

إذا كان الفارابي قد عانى من الصراع السياسي في عهده ومن التناقضات الاجتماعية أيضا فإن الصراع الفكري لم يكن أحسن حظا منهما، ولم يكن المعلم الثاني بمعزل عن هذا الصراع الفكري والاختلاف المذهبي الذي يعد مظهرا من مظاهر الأزمة التي عصفت بالدولة العباسية ولم لا؟ وقد { استعر الصراع المذهبي فقهيا كان أو عقائديا بخاصة في بغداد عاصمة الخلافة العباسية بعد أن كانت تضج بحيوية معرفية وشهدت حوار المدارس الفلسفية والتماسَ المباشر بالتجارب الفكرية والإنسانية للحضارات الأخرى وفي صراع معها وكان لثورة حركة الترجمة اسهام كبير في تطور تلك الدينامية وهكذا انبرى كل فريق لفرض تعاليمه وبرزت فرق ومذاهب بلغت من التعصب شأواً ينذر بالفتنة والفرقة " الشيعة، السنة، المعتزلة، الخوارج، الحنابلة، الأشاعرة و المتصوفة" : ذلك أن التفات الناس حول المذاهب غزى نزعة التقاطب وأفضى إلى تشتت آراء أهل المدينة}[1] .

ويمكننا تأكيد ما سبق بأن: " العصر العباسي الثاني الذى عاش فيه الفارابي و مات " تعددت فيه الحركات الدينية تعدد الحركات السياسية سواء بسواء ثورات شعبية نشرت مبادئ الشيعة بعد أن انتزعت كثيرا من بلاد الدولة العباسية وحركات سياسية و دينية قام بها الخوارج و الزنج و انتعاش لمذهب المعتزلة و ذيوع لمذهب أهل السنة على يدي الأشعري ثم الغزالي من بعده و تطور لبعض آراء المتصوفة [2].

لقد كانت الفرق الدينية تتنازع هي الأخرى وتتصارع كما تصارع السياسيون.
وتجدر الإشارة إلى أن انتعاش مذهب المعتزلة كان محفوفا بالصراعات الفكرية و السياسية فالواقع التاريخي يشهد بأن المعتزلة قضوا في البداية نحو قرنين يتحاشون

(١) – مدينة السماء ومدينة الأرض بحث في جل الأخلاق والسياسة عند الفارابي د/ أحمد إد علي ضمن أبحاث المؤتمر الدولي الرابع السياسي في البلاد الإسلامية الفكر والأنماط والأماكن ص ١٩٨ / ١٩٧ .

(٢) الفارابي د/ سعيد زايد ص ١٠-١١

التحزب و التشيع، و يؤثرون الحياد في الرأي و العمل لم يكونوا بمعزل عن مشكلة الإمامة و هي المنشأ الأول للفرق و لكنهم فيما يظهر اضطروا أخيرا تحت ضغط الأشاعرة و أهل السنة أن يلجئوا إلى البويهيين وأن يستخدموا السياسة مرة أخرى، فساعدت على نشر مذهبهم في بلاد فارس و البحرين و اليمن، وعلى أيدى الصاحب بن عباد (٣٨٥-٩٥٥) الوزير البويهي خاصة . الذى حاول أن يبث آراء المعتزلة بشتى الوسائل بالإقناع تارة و الاغراء تارة أخرى[١] .

وقريب من هذا حال المذهب الأشعري الذى مر بأطوار مختلفة و تعرض لصراعات فكرية وسياسية لا تقل عن سابقتها فقد بدأت الحركة الأشعرية في القرن الرابع الهجري و اشتبكت في نضال مع الفرق الأخرى و مع المعتزلة بوجه خاص و بلغت هذه الخصومة أشدها في القرن الخامس الهجري على أيدى الكندري (٤٥٦- ١٠٦٤) وزير " طغرلبك " الذى انتصر للمعتزلة و أثار بخراسان فتنة دامت نحو عشر سنين .. ثم استعاد الأشاعرة مجدهم على أيدى نظام الملك (٤٨٤- ١٠٩٢) و أخذ نجمهم في الصعود . [٢]

صحيح أن الفارابي لم يشهد هذه المرحلة الأخيرة من هذا الصراع لكنه شهد بداياته في القرن الرابع الهجري وعلى أية حال فقد نتج عن هذا الصراع الفكري والاختلاف المذهبي جدل طويل وحوار متنوع ومناقشات ومناظرات في الندوات والمنتديات والمدارس العلمية وخاصة في مدرستي البصرة وبغداد وكان مدارها بين المعتزلة وأهل السنة من جانب وبينهم وبين الفلاسفة من جانب آخر. وبهذا امتلئ الجو الإسلامي بجدال عنيف دار حول الأصول الرئيسية للعقيدة الإسلامية وما ينشأ عنها من فروع وكان لذلك بطبيعة الحال دوره في تشكيل الرؤية الفلسفية للمعلم الثاني

(١) – الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه ج ٢ ص ٣٧

(٢) المرجع السابق ص ٢ ص ٤٧

خصوصا في مشكلة الامامة وما يتعلق بها من نظرات سياسية لوظيفة رئيس المدينة وأهم الشروط الواجب توافرها فيه كما سنعرض له بعد ذلك.

عمومًا فإن عرض الملامح العامة عن السياق السياسي و الاجتماعي والفكري في العصر العباسي الثاني الذي عاش فيه فيلسوفنا يعد محاولة تمهيدية للكشف عن مدى تأثر الفارابي بهذه الأحداث التي عاصرها . إذ من المعلوم " أن فكر الفارابي تشكل على ضوء السياق الثقافي العام . فالفارابية تخلقت من أزمة سياسية ومجتمعية وعن أزمة ضمير ، فاندفعت تبحث عن المثل في مدينة فاضلة رغبة في تحقيق السعادة القصوى ، فالأجدر بالتالي أن تنضبط قراءة أعماله لشرائط ذلك السياق ، فالمحيط العام يؤثر لا محالة في تشكيل الفكر كأداة ومحتوى معاً " (١)

هـ – منزلة الفكر السياسي في مشروع الفارابي الفلسفي :

تمثل الفلسفة السياسية لدى الفارابي جانبا هاما وأصيلا في فلسفته العامة، وقد امتاز بين أقرانه من فلاسفة المسلمين باهتمامه الواضح بالفلسفة السياسية.

" و اذا كان موقع علم السياسة من الرفعة في النسق الأرسطي من حيث منزلته في العلوم العملية لأنه يبحث في الخير الأسمى وفي ما به يتحقق الوجود الأفضل للإنسان و هو بلوغ السعادة فإن شأن " الفلسفة المدنية " لدى المعلم الثاني ليس أقل مما ذهب إليه ارسطو خاصة و أن مركز الثقل هو تحصيل السعادة فكان بذلك حضور المسألة السياسية حضوراً فعليا وذا راهنية في فلسفة الفارابي . (٢)

إن باستطاعتنا أن نؤكد أن الفلسفة السياسية للمعلم الثاني تشكل جزءاً هاماً وأصيلاً في فلسفته العامة ، وأن آراءه السياسية النظرية قد تغلغلت في ثنايا مشروعه الفلسفي تغلغلاً واضحاً وفرضت حضوراً قوياً .

(١) مدينة السماء ومدينة الأرض : بحث في جدل الأخلاق والسياسة عند الفارابي د/ أحمد إد علي ص ١٧٩ .

(٢) الفارابي والمدن غير الفاضلة / محمد الجوة ، مجلة الفكر العربي المعاصر عدد ٩٨ – ٩٩ لعام ١٩٩٢م ص ١١٧

ومن هنا يمكننا القول بأن المعلم الثاني قد أعطى لفلسفته العامة طابعا سياسيا خاصا ، "فقد كان للنظر السياسي فيهما أثر بين و جلى لا يخطئه الباحث المتعمق في هذه الفلسفة حتى أنه ليتعذر على الدارس فهم هذه الفلسفة بمعزل عن دراستها في ضوء نزعتها السياسية الخاصة و كأن هذه النزعة المسيطرة على فكر الفارابي و توجهه تخضع القضايا الفلسفية الأخرى لها و ذلك لأن الغرض الذى يحرك فلسفته كلها كما يبدوا إنما هو غرض سياسي و إنه لا يمكن وفقا لهذا المقتضى من الاعتقاد و فهم هذه الفلسفة على أصول النظر الصحيحة فيهما مالم ينظر إليها من هذه الناحية السياسية. (١)

وهذه خاصية يكاد أبو نصر ينفرد بها من بين أرباب الفلسفة المشائية فتصبغ آراؤه الفلسفية بصبغة سياسية و تبدوا أكثر أعماله الفلسفية ذات وجهة وأهداف سياسية و يتضح ذلك من حجم الأعمال التي ألفها في هذا الخصوص مثل اراء أهل المدينة الفاضلة – السياسة المدنية – فصول المدني – رسالة في السياسة – كتاب الملة – .. و غيرها من كتبه الأخلاقية التي لا تخلو من طابع سياسي.(٢)

إن نظرة فاحصة في هذه الكتب تبين لنا أن الأفكار السياسية أشغلت عقله النظري ، وأهاجت فكرة الفلسفي بسبب أن " النظرية السياسية تهيمن على فكر الفارابي لدرجة أن باقي الدراسات الفلسفية – وليس الالهيات والاخلاق وعلم النفس فحسب ، بل كذلك الطبيعة والمنطق تتبع لتلك النظرية وتخضع لها " (٣) وتلكم النظرة تؤكد القول بأن " الجزء الرئيسي والمحوري في فلسفة الفارابي وأكثر فروعها أصالة هو سياسته .(٤)

(١) فلسفة الفارابي السياسية : دراسة في علاقة الفيض بالعلم المدني / ضرار على بني ياسين ص ٦٥– ٦٦ : من مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية بالجامعة الأردنية مجلة ٤٢ عدد ١ عام ٢٠١٥م

(٢) الانسان في الفلسفة الإسلامية د/ إبراهيم عاني ص ٢٤٨

(٣) معجم الفلاسفة . أ/ جورج طرابيشي ص ٤٥٠ ، ط دار الطليعة بيروت الثالثة .

(٤) المرجع السابق ص ٤٥٠

وقد يبدو للرائي أن الموقف السابق يمثل مقاربة دقيقة للفلسفة السياسية عند الفارابي بالرغم من مبالغته بعض الشيء ، إذا فهمناه في حدود توصيفه للروابط والعلائق المتينة بين أجزاء فلسفة الفارابي . والراجح هو أن الفارابي نفسه لم يشأ أن يفصل العلم المدني والسياسة المدنية ويخصها بمباحث مستقلة ، والسبب قد يعود إلى أنه كان مؤمناً بوحدة الفلسفة كما بوحدة العقل ، ومن أن السياسة علم لا يمكن فهم أغراضه وأبعاده النظرية والعلمية إلا إذا ربط بنظرية فلسفية عامة تسبرها رؤية شاملة متكاملة ، تكشف عن أصول النظام والترتيب للموجودات التي يسعى كل واحد منها إلى إحراز كمالاته الخاصة ، وصولاً إلى بلوغ السعادة القصوى التي لا تستقيم ولا يتم لها تحقق إلا بالاجتماع الانساني المدني في الملة الفاضلة.(١)

ومما يؤكد الحقيقة السابقة أن كتابا واحدا من كتبه السابقة وهو كتاب " اراء أهل المدينة الفاضلة " وقد جسد الفارابي فيه تجاربه الحياتية وتفاعلاته النفسية والاجتماعية. فجاء تعبيرا صحيحا عن خلاصة مذهبه في الوجود و الحياة، وصورة مصغره عن نظرياته في العقول الابداعية و صدورها عن المبدع و علاقة الموجودات بعضها ببعض والفيض والنفس والإدارة والاختيار والسعادة والوحي والمنامات وتأثير القوة المتخيلة .. الخ (٢).

(١) فلسفة الفارابي السياسية د/ ضرار علي ص ٦٦

(٢) الفارابي د/ مصطفى غالب ص ٩٠ – ٩١

المبحث الثالث: الاعتقادات الفكرية والسياسية للدولة الفارابية

في ضوء هذا التميز للمعلم الثاني على صعيد الفكر السياسي نحاول من خلال هذا المبحث أن نتعرف على طبيعة رؤية الفارابي للدولة من خلال مدينته الفاضلة ونحاول أن نرصد أهم الأسس الفلسفية للدولة في الفلسفة الفارابية لنرى كيف ارتبطت الرؤية السياسية للمعلم الثاني بالميتافيزيقا ؟ وما وجه العلاقة بين الفلسفة والملة والمدينة ؟ وكيف يمكن بلوغ السعادة بما هي الخير المطلوب لذاته ؟ وكيف بدت العلاقة الجدلية بين الأخلاق والسياسة عنده ؟

وغير ذلك من الاعتقادات الفكرية الفلسفية التي ساهمت في توجيه الفكر السياسي الاجتماعي لدى المعلم الثاني . وهذا الكشف وذلكم الاهتمام بالأسس الفلسفية والاعتقادات الفكرية للدولة عند الفارابي يساعدنا في توضيح حقيقة أفكار المفكر والمشروع الذي يتبناه من ناحية ومن ناحية أخرى يساعدنا في فهم مضامينها وأبعادها فهماً أوفي تمهيداً لنقدها ، واستخلاص ما فيها من افكار نافعة تصلح أن نبني عليها وأن نستثمرها في المشروع الحضاري لأمتنا العظيمة ، وتنحية الأفكار التي لا تصلح لعصرنا ولا تناسب زماننا والتي لا خير فيها ولا فائدة ترجي من ورائها ولتكن البداية مع الاساس الفلسفي الأول في النقطة التالية .

الاساس الأول : ارتباط الإلهي بالسياسي :

اذا نظرنا في الموضوعات و القضايا الفلسفية التي تضمنها فكر الفارابي وجدنا أنه يهتم بقسمين أساسيين من جملة القضايا الفلسفية التي شغلت فكره و هما الجانب الإلهي و الجانب السياسي . فاذا راعينا تأثره العميق بالأفلاطونية الجديدة وميله الشديد إلى الرواقية وجدنا عنده التداخل بينهما ما يسمح باعتبارهما ظاهرتين لعلم واحد يمكن تعريفه بأنه السعي وراء الحق من حيث هو وسيلة لبلوغ السعادة أو السعي وراء السعادة من حيث هي نتيجة لطلب الحق . [١]

(١) تاريخ الفلسفة الإسلامية د/ ماجد فخري ص ١٦٦ – ١٦٧

ومن هنا يمكننا أن نلحظ منذ الوهلة الأولى من معظم مصنفات الفارابي السياسية أنها تصانيف في العلم المدني كما هي في الوقت نفسه رسائل تبحث في الميتافيزيقا وهذا ليس بغريب على فيلسوفنا حيث اعتاد دمج الفيزيقا بالميتافيزيقا و بالتالي فالسياسة لا تنفصل عن الالهيات وعلى هذا فإن آراءه في السياسة تعتمد على آرائه في نظام الكون وفي النفس ولا يمكن الفصل بين هذه الآراء .. إن فلسفته التي أطلق عليها اسم الفلسفة السياسية ليكون من الأفضل تسميتها بفلسفة النبوة .[١]

و يؤكد الفارابي على دمج الإلهي و السياسي في معظم كتبه السياسية و التي من أبرزها كتابه أراء أهل المدينة الفاضلة الذى نرى فيه ترابطا بين أقسامه الأربعة ووحدة كاملة تبعا للتصور الذى قصده الفارابي نفسه . هذه الأقسام الأربعة مترابطة ويسلم كل منها إلى الأخر و تضم هذه الأقسام الإلهيات ثم الطبيعيات و الثالث في الإنسان و قواه الباطنة والأخير في المدينة الفاضلة وحتى" نفهم الترابط الموجود بين أقسام الكتاب علينا أن نستحضر دائما عنوانه الذى يدل بوضوح على أن الفارابي يقصد منه تحديد الآراء التي يدين بها أهل المدينة الفاضلة وتبعا للتقليد الإسلامي المستقر فإن العقيدة هي التي تمثل البداية الحقيقية لوجود للإنسان. [٢]

وهكذا فإن أعظم مؤلفات الفارابي الماورائية و السياسية في نفس الوقت لا يبدأ الكلام فيه عن قضية سياسية كقضية العدالة مثلا أو علاقة المواطن بالدولة أو حقوق الإنسان في الدولة أوعن نظام الحكم ، بل يبدأ المعلم الثاني حديثه في هذا الكتاب عن الموجود الأول أو الواحد المطلق ثم يأتي الحديث في القسم الأخير من الكتاب عن المدينة الفاضلة و المدن المختلفة مما يعنى أنه لم يفصل بين الميتافيزيقا و الفيزيقا كذلك قدم أهم محاولة للتوفيق بين الفلسفة و بين ما ينبغي أن تكون عليه الحياة السياسية لكى تتحقق السعادة و الحياة الصالحة الكاملة للبشر . [٣]

(١) تاريخ الفلسفة الإسلامية / هنري كوربان ص ٢٤٨

(٢) المدينة الفاضلة بين أفلاطون والفارابي دراسة مقارنة د/ حامد طاهر ص ٨٠-٨١ ط القاهرة ١٩٨٦م

(٣) الفلسفة الاسلامية د/ رجاء أحمد علي ص ٦٩ ط دار المسيرة للنشر والتوزيع ٢٠١٢م

وهكذا كانت قضية الإله الواحد التي بدأ بها الفارابي القسم الأول من كتابه مبادئ و آراء أهل المدينة الفاضلة هي نقطة الانطلاق في فلسفة الفارابي الماورائية لأنه المبدأ الثابت الذى اعتمده لبناء كامل العمارة الفكرية . (١)

والملاحظ أن الفارابي قد جعل بحثه في الإله في اتجاهين: اتجاه منطقي اعتمده في تحديد الكائنات الواجبة والممكنة فاعتمد قانون السببية لإثبات وجود الله على النحو الذي نجده فى كتب السياسة وفصل تحديده في كتاب عيون المسائل واتجاه لاهوتى عالج فيه ماهية الله وصفاته وعلاقته بالعالم الذي أبدعه وقد شغل هذا البحث جزءا كبيرا من القسم الأول من كتاب " مبادئ وآراء أهل المدينة الفاضلة " (٢)

في ضوء النصوص السابقة تتأكد لدينا قضية ارتباط الإلهي بالسياسي عند المعلم الثاني ، ومن حقنا هنا أن نتساءل عن وجه هذا الارتباط وعن طبيعة هذا الاله الذي ربط الفارابي مشروعه السياسي به .

أما عن وجه الارتباط بين الالهي والسياسي لدى الفارابي فمن تجلياته أن هذا أمر مهم وواحد من الأمور المهمة التي ينبغي على أهل المدينة الفاضلة أن يشتركوا في معرفتها وعلى رأسها معرفة السبب الأول أو واجب الوجود والأشياء المفارقة للمادة حتى تنتهي إلى العقل الفعال ، ومن ناحية أخرى فإن السعادة المنشودة لأهل المدينة الفاضلة منوطة بعقائد وآراء تخيلها الفارابي في فلسفته الإلهية والإنسانية .

إن كثافة التناول الميتافيزيقي في كتاب الآراء المخصص للمدينة الفاضلة ، وفي غيره من المؤلفات ، وحرص المعلم الثاني على استهلاك هذه الكتب بالكلام عن الإلهيات يعني " أن الخوض في الإلهيات ، وكثافة حضور الميتافيزيقا أمور استوجبتها الحاجة الملحة لبناء مدينة أرضية تحاكي نظام الوجود ، واقتفاء التدبير الانساني لأثر وروعة التدبير الإلهي ، وإقامة نظام الخير في المدينة أسوة بالنظام

(١) مع الفارابي والمدن الفاضلة أ/ فاروق سعد ص ٤٦

(٢) كتاب الفارابي والحضارة الانسانية وقائع مهرجان الفارابي المنعقد في بغداد ١٩٧٥ بحث : الالهيات عند الفارابي د/ عبدالكريم المراق ص ٧٣ – ٧٤ بتصرف

الخيّر في الوجود ، واحتراماً للقانون الكوني ... ومثلما لا يمكن تصور سعادة الانسان من دون وصل علاقته بالذات الالهية السرمدية ، يستحيل أيضاً إدراك سعادة المدينة خارج نظام الكون البديع .. ولعل هذا يبرز كيف أن القضايا الميتافيزيقية هي التي جرى تناولها ضمن قضايا السياسة أو بالأحرى في إطار العلم المدني " (١)

ومن ناحية ثالثة فقد ربط المعلم الثاني بين الألوهية والأخلاق العملية من خلال مسألة الرئاسة والتدبير ، إذ أن " كافة الأمم وكل المجتمعات وسائر أفراد البشر إنما يفتقرون في نهاية الامر الى مدبر واحد وحيد ، يدبر وينظم شئون حياتهم ويضع نظاماً وشرائع يبنهم ، ويوزع عليهم الأرزاق ، بل ويدبر أنفسهم وأبدانهم فيدفع عنهم الأمراض عقلية وجسمانية " (٢) مما دعا الفارابي بعد ذلك إلى مطالبة رئيس أي جماعة صغيرة وكبيرة أن يقتدي بالله تعالى في مسألة التدبير لأهل مدينته وجماعته ، مما سنزيده وضوحاً في الصفحات التالية بعون الله تعالى.

ومن ناحية رابعة فإن العقل الفعال هو عصب النظرية العقلية عند المعلم الثاني ، ولأن هذا العقل ينتمي إلى اسرة الكائنات الميتافيزيقية فإنه يكون قد فتح الباب واسعاً أمام تغلغل الإلهيات في ميدان علم النفس وعلم العقل والسياسة أو أنه ألهها.(٣)

وبالنسبة لطبيعة إله الفارابي الذي ربط بينه وبين مدينته الفاضلة على النحو المذكور آنفاً ، فإن الفارابي قد بدأ حديثه في كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة ببحث في الإلهيات بشكل مباشر وبدون توطئة ، والملاحظ أن الفارابي لم " يقدم براهين على وجود الله ، بل يسلم بوجوده تسليماً بديهياً ويسميه تعالى (الأول) أي سبب وجود باقي الكائنات كلها " (٤)

(١) مدينة السماء و مدينة الأرض ص ١٩٢

(٢) نماذج من فلسفة الإسلاميين د/ سامي نصر لطفي ص ١٩٣

(٣) من المعرفة إلى العقل بحوث في نظرية العقل عند العرب د/ محمد المصباحي ص ٣٣ ، ط دار الطليعة بيروت ١٩٩٠م

(٤) البيرنصري نادر في مقدمته التحليلية لكتاب آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي ص ٣٣ ط/ دار المشرق الثانية بيروت

ثم يبدأ حديثه عن الله تعالى بالتنزيه المطلق للموجود الأول فيقول " الموجود الأول هو السبب الأول لوجود سائر الموجودات كلها ، وهو برئ من جميع أنحاء النقص ... وهو أزلي دائم الوجود بجوهره وذاته ... وهو الموجود الذي لا يمكن أن يكون له سبب به أو عنه أو له كان وجوده ، فإنه ليس بمادة ، ولا قوامه في مادة ولا في موضوع أصلاً ، بل وجوده خلو من كل مادة ومن كل موضوع " [١] ومعنى أن واجب الوجود أزلي " أن الله قديم لا أول لوجوده ، وإذا كان الله لا أول لوجوده فإنه بالمثل لا نهاية لوجوده . والله دائم الوجود ، ومعنى ذلك أنه باق لا يتغير ولا يفسد لأنه قديم ثابت والله دائم الجود لأن وجوده من ذاته لا من شئ آخر ، وأنه موجود لذاته لا لسبب حتى يزول السبب ووجود الله لا مثيل له ، لأن كل ما عداه وجوده حادث متغير يستمد وجوده من الغير . [٢]

أما الفقرة الاخيرة في النص الفارابي السابق فمفادها أن الوجود الالهي عند المعلم الثاني " لا يعني أن الله مادي أوله مادة فالله عنده عقل بالفعل في جوهره على حد تعبيره هو سبحانه ليس بمادة لأن المادة تشغل حيزاً معلوماً ومحدوداً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ثم إن المادة تحس وتلمس والله لا يمكن أن يحس أو يلمس ، والمادة مركبة أما الله فبسيط صمد ليس مؤلفاً . وهو سبحانه ليس بصورة إذا فهمت الصورة من خلال المادة " [٣]

وعن مرتبة هذا الوجود الإلهي يقول المعلم الثاني " فوجوده أفضل الوجود وأقدم الوجود ، ولا يمكن أن يكون وجود أفضل ولا أقدم من وجوده، وهو من فضيلة الوجود في أعلى أنحائه ومن كمال الوجود في أرفع الرواتب " [٤].

(١) المرجع السابق ص ٣٧ – ٣٨

(٢) الفلسفة الاسلامية في المشرق . د/ فيصل بدير عون ص ٢٤٥ – ٢٤٦

(٣) المرجع السابق ص ٢٤٦

(٤) آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٣٧

ثم تكلم عن نفي الشريك عنه سبحانه منطلقاً من معنى الوجود التام للموجود الأول قائلاً " وهو مباين بجوهره لكل ما سواه ، ولا يمكن أن يكون الوجود الذي له لشيء آخر سواه "

لأنه لو كان مثل وجوده في النوع خارجاً منه بشيء آخر لم يكن تام الوجود ، لأن التام هو ما لا يمكن أن يوجد خارجاً منه وجود من نوع وجوده ، وذلك في أي شيء كان إذا كان الأول تام الوجود لم يمكن أن يكون ذلك الوجود لشيء آخر غيره. فإذن هو منفرد الوجود وحده " [1] وهكذا نجد المعلم الثاني يربط بين معنى التام ومعنى الوحدة الواجب الوجود ومن جهة أن التمام والوحدة لا يوجدان إلا لواجب الوجود . ونلاحظ أن الفارابي هنا قد اعتمد في تدليله على وحدانية السبب الأول قد اعتمد اعتماداً واضحاً على توضيح معنى التام ببرهان مفاده " إذا كان الأول تام الوجود ، لم يمكن أن يكون ذلك الوجود لشئ آخر غيره ، فإذن هو متفرد بذلك وحده، فهو واحد من هذه الجهة . والبرهان السابق لم يفد أن واجب الوجود تام ، وذلك لأن تعريف التام لا يفيد بالضرورة أن موضوعاً ما تام أو غير تام ، ما لم يكن هذا الموضوع تاماً أو غير تام إما بدليل آخر غير تعريف التام ، أو بصورة انطباق تعريف التام عليه ، فواجب الوجود بنفسه إن كان تاماً بدليل برهان مقنع ، فإن صفاته حينئذ ستكون التعريف الجامع المانع للتام .. لا أن يكون تعريف التام دليلاً على تمام الواجب بنفسه " [2]

في ضوء ما سبق وتأكيد الحقيقة ربط الإلهي بالسياسي يمكننا القول بأن المعلم الثاني بدأ حديثه في كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة " بملاحظات ميتافيزيقية صرفة عن العلة الأولى وتبين هناك شكل التفكير الأفلاطوني الجديد عن تدرج الكائنات الهرمي، في المدينة الفاضلة تشهد الانبعاثات المتلاحقة لمختلف المعقولات والمجالات الكونية حتى كرتنا الأرضية . وفي رسالة " السياسة المدنية" ينطلق الفارابي من الانسان فيرينا كيف يترتب عليه أن يقهر القوة الهمجية الحيوانية الكامنة

(١) المرجع السابق ص ٣٩ – ٤٠

(٢) الفلسفة الطبيعية والالهية عند الفارابي ص ٣٨٢

فيه ، وذلك لتقوية الهيمنة العقلانية ، وأنه في حاجة والحالة هذه أن يعلم بوجود الخالق . وعلى ذلك فبعد الأسباب ينبغي عليه أن يتوقف لدى مبدأ أول ، وذلك أن مبدأ العلية الدارجة لا معنى له ، والسلسلة العلية اللامتناهية تهدم إمكانية العلم وهكذا فإن ثمة علة أولى هي الله الأحد المتفرد في ذاته " (١)

ثم ينتقل الفارابي إلى نفي الضد وهو المباين المعاند له شأنه أن يبطل كل واحد منهما الآخر ويفسده إذا اجتمعا ، ويؤكد الفارابي على وحدة السبب الأول وأن وحدته عين ذاته وأنه تعالى عالم وحكيم وأنه حق وحي وحياة ، فليس يدل بهذه الالفاظ إلا على ذات واحدة لها العلم الدائم والوجود الكامل . وينتهي الفارابي في بحثه هنا إلى تحديد لمفهوم الأسماء التي ينبغي أن يسمي بها الأول تعالى مجده ، وهي تلك الأسماء التي تدل على الكمال والفضيلة في الموجودات التي لدينا من غير اعتبار لمفهومها البشري ، بل نتسامى إلى ما ينبغي لجلاله وعظمته ومجده تعالى "(٢)

وتوضيحاً لما سبق يمكننا القول بأن الواحد الذي هو في مفهوم الفارابي السبب الأول لجميع الكائنات تام واجب الوجود ، مكتف بذاته وأزلي ، غير معلول وغير مادي ، لا شريك له ولا ضد ولا هو قابل للتحديد . ويتصف الأول فضلاً عن ذلك بالوحدانية والحكمة والحياة لكن لا كصفات متميزة مضافة إلى ذاته ، بل كجزء لا يتجزأ من تلك الذات ، فالذي يميزه عن سائر الموجودات منطقياً هو وحده ذاته التي هي علة وجوده ، ولما كان مفهوم الحياة " أن يعقل أفضل معقول بأفضل عقل " أو بلوغ أسمى مراتب الكمال التي تستطيعها الذات الحية ، أو قدرة هذه الذات على إيجاد ما من شأنها ان توجده فإن الأول بناء على ذلك هو أيضاً حياة " (٣)

(١) ما وراء الطبيعة السياسية في تفكير الفارابي روجيه أرنالديز ، ترجمة د/ أكرم فاضل ص ٣٥ مجلة المورد مجلد ٤ عدد رقم ٣

(٢) راجع أراء أهل المدينة الفاضلة ص ٤١ – ٤٦ – ٤٨ – ٥١

(٣) تاريخ الفلسفة الاسلامية د/ ماجد فخري ، ترجمة د/ كمال اليازجي ص ١٦٧– ١٦٨ ، ط الدار المتحدة للنشر ١٩٧٩م

وبطبيعة الحال فإن الفارابي لما اعتقد أن الإله في غاية البساطة و الكمال والجمال والتجريد لأنه برئ من المادة ولأنه عقل مطلق ، فقد ترتب على ذلك أن أنكر المعلم الثاني إنكاراً كاملاً القول بوجود صفات الهية مستقلة عن ذاته ، وهو بهذا يقترب كثيراً من موقف المعتزلة والواقع كما يقول الدكتور إبراهيم مدكور [١] " إن فكرة الألوهية عند الفارابي – ومن بعده ابن سينا – أعمق في التنزيه وأبلغ في التجريد مما قال به المعتزلة ، تبعد الاله بعداً تاماً عن كل ماله شائبة الحس والمادة وتصوره تصويراً عقلياً بحتاً ، وهو تصوير أقرب إلى فكرة التسامي واللانهائية التي قال بها المحدثون .

الاساس الثاني: تعلق الفيض بالسياسة المدنية

يعتبر المعلم الثاني واحداً من الفلاسفة الذين اهتموا في مشروعهم الفلسفي بتطبيق فلسفتهم على المجتمع ومن مظاهر ذلك أن فيلسوفنا حاول أن يطبق الفيض وترتيب الموجودات كما ذكرها في آراء أهل المدينة الفاضلة على المدينة التي رغب أن تقام على أرض الواقع ، فدمج الميتافيزيقا بالسياسة كما حاول إبراز التناظر بين تركيب عالم العقول المفارقة من جهة وعالم الانسان من جهة ثانية ، وعالم الاجتماع المدني من جهة ثالثة ، هذا كله في سبيل خدمة قضية واحدة أساسية في نظر المعلم الثاني ألا وهي : إبراز دور رئيس المدينة بوصفه قمة الهرم الذي تشكله كل من هذه العوالم .

ومن المعلوم أن العقل الفعال يحتل لدى المعلم الثاني " المكانة الرئيسية في فلسفته بكل أقسامها الإلهية والطبيعية والسياسية ، لأنه ينظم عالم الكون والفساد ويراقبه ، ويربطه بعالم الخلود والثبات .. وحيث أن العقل الفعال هو عصب النظرية العقلية عنده، ولأنه ينتمي إلى أسرة الكائنات الميتافيزيقية ، فإنه يكون قد فتح الباب واسعاً أمام تغلغل الإلهيات في ميدان علم النفس وعلم العقل والسياسة ... " [٢]

(١) في الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقه ج ٢ ص ٨٣

(٢) من العقل إلى المعرفة د/ محمد المصباحي ص ٣٣

صحيح أن الفيض له دلالته المعرفية والميتافيزيقية التي اهتم بها الفارابي ، إلا أننا نود أن نركز على الدلالات السياسية للفيض في الفلسفة الفارابية ، وهنا يصح القول بأن " الفيض هو شكل لما يمكن دعوته بميتافيزيقا صنع العالم أنطولوجيا ، الذي يتم بصورة السقى الوجودي وبرعاية الأعلى للأدني ، وبذلك تصبح الموجودات العليا عقولاً تفيض على ما دونها أو تحتها ،إلى أن يصل الفيض غايته إلى المادة ، بيد أن السقى الالهي للموجودات في الميتافيزيقيا الفيضية عند الفارابي لا ينقطع عند هذه العناصر التي تتشكل على هيئة انسان له كينونته الاخلاقية الخاصة في الاجتماع الانساني المدني بل لابد من أن يستمر من خلال فعالية العقل الفعال ، ويقوم بدور الرابطة الشغالة على الدوام بين عالم الروح وعالم المادة غير أنه لا يؤثر إلا في نوعه الخلاق ، فتجري عملياته في العقل الانساني فائضاً عليه هو الآخر " (١)

ويحدثنا الفارابي عن ذلك فيقول " فعلى هذه الجهة وبهذا النحو اختلاف هذه الطبيعيات وارتباط بعضها ببعض ومراتبها ، والى هذا المقدار " تبلغ الاجسام السماوية في تكميل هذه ، فما يبقى بعد ذلك من الكمالات الأخر فليس من شأن الأجسام السماوية أن تعطيه ، بل ذلك من شأن العقل الفعال . وليس من هذه نوع يمكن أن يعطيه العقل الفعال الكمالات الباقية سوى الانسان والعقل الفعال هو فيما يعطيه الانسان على مثال ما عليه الاجسام السماوية ، فإنه يعطي الانسان أولا قوة ومبدأ به يسعى ، أو به يقدر الانسان على أن يسعى من تلقاء نفسه إلى سائر ما ينبغي عليه من الكمالات . وذلك المبدأ هو العلوم الأول والمعقولات الأول التي تحصل في الجزء الناطق من النفس " (٢)

(١) فلسفة الفاربي السياسية د/ ضرار علي ص ٦٨

(٢) السياسة المدنية الملقب بمبادئ الموجودات للفارابي ، تحقيق د/ فوزي متري النجار ص ٧١– ٧٢ ، ط المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٤م

ومعنى ذلك أن الطبيعة قد تكفلت بتوفير حاجيات الانسان وكمالياته ، لكن هناك ما لا يستطيع الانسان أن يدركه إلا بواسطة العقل الفعال ، الذي يستطيع وحده أن يمنح الإنسان قوة ومبدا به يسعى أو به يقدر . وذلك المبدأ هو العلوم الأول والمعقولات الاول على حد تعبير المعلم الثاني، لكن ذلك لا يتحقق إلا إذا تحققت الإرادة التي تنشد السعادة " فمن بعد أن يحصل هذان – يشير إلى نوعين من الارادة إحداهما شوق عن احساس والأخرى شوق عن تخيل – يمكن أن تحصل المعارف الأول التي تحصل من العقل الفعال في الجزء الناطق، فيحدث حينئذ في الانسان نوع من الارادة ثالث وهو الشوق عن نطق، وهذا هو المخصوص باسم الاختيار ، وهذا هو الذي يكون في الانسان خاصة دون سائر الحيوان ، فإذا حصلت هذه في الانسان قدر بها أن يسعى إلى السعادة [١] وهذه السعادة لا تتحقق إلا من داخل نظرية الفيض نفسها ، أي أن الفكر السياسي للمعلم الثاني هو محض صدى أو ارتداد لنظرية الفيض من هنا فإن المقصد الحقيقي للمدينة الفاضلة هو البحث عن سعادة الانفس بتأملها الحقائق الأزلية في العقل الفعال ، لكن الانسان يحتاج إلى بلوغ هذه السعادة إلى قائد يدله على سبيل الحق ويهديه إليه . وهذا القائد هو الرئيس ، فالهدف الذي ينشده سكان المدينة الفاضلة ، كما رسمه الفارابي يتجسد في تحقيق خير المجتمع ، والخير المطلق هو تحقيق سعادتهم ، أما الشرعية فمستمدة من الاتصال بالعقل الفعال، وذلك لا يتحقق إلا لنبي أو حكيم، لأنهما الأجدر بالرياسة .. ومكانتها في المجتمع بمثابة القلب من الجسد ، ولا ينبغي أن يعلو فوقهما رئيس آخر لأنهما مستغنيان عن ذلك . [٢]

(١) المرجع السابق ص ٧٢

(٢) انظر المرجع السابق ص ٧٨ – ٧٩ وأيضاً : آراء أهل المدينة الفاضلة ص ١٢٣ وما بعدها .

الأساس الثالث : ضرورة الملة والفلسفة للمدينة الفاضلة

هناك اتجاه قوي بين الباحثين يؤكد أن همَّ الفارابي وهاجسه كان سياسياً بالدرجة الأولى وهذا غير خاف على من يطلع على مؤلفات الرجل خصوصاً الأخيرة منها ، لكننا من ناحية أخرى نلمح اهتماماً من المعلم الثاني بالدين حيث يكثر من الحديث عنه في مشروعه الفلسفي بشكل عام والسياسي بشكل خاص ، كما تتكرر الإشارة الفارابية إلى الدين ووضعه في المجتمع ودور الملة في الحياة الاجتماعية والسياسية لأهل المدينة الفاضلة . ومن هنا رأينا فيلسوفنا يؤلف كتاباً خاصاً للبحث في موضوع الدين وهو كتاب "الملة" مما يشير إلى أن الدين أيضاً كان هاجساً من هواجسه وواحداً من اهتماماته الفكرية في أكثر من جانب، وبخصوص الزاوية التي نتحدث عنها هنا فقد رأي المعلم الثاني أنه لابد " أن تكون في المدن ملة مشتركة تجتمع بها أراءهم واعتقاداتهم وأفعالهم ، وتأتلف بها أقسامهم وترتبط وتنتظم ، وعند ذلك تتعاضد أفعالهم وتتعاون حتى يبلغوا الغرض الملتمس وهو السعادة القصوى " (١)

ويلقي الفارابي الضوء على ما يقصده بالملة فيقول " الملة هي آراء وأفعال مقدرة مقيدة بشرائط يرسمها للجميع رئيسهم الأول ، يلتمس أن ينال باستعمالهم لها غرضاً له فيهم أو بهم محدوداً ... والرئيس الأول إن كان فاضلاً ، وكانت رئاسته فاضلة في الحقيقة ، فإنه إنما يلتمس بما يرسم من ذلك أن ينال هو وكل من تحت رئاسته السعادة القصوى ، التي هي في الحقيقة سعادة ، وتكون تلك الملة ملة فاضلة" (٢)

والملة والدين يكاد يكونان اسمين مترادفين وكذلك الشريعة والسنة ، فإن هذين إنما يدلان ويقعان عند الاكثر على الافعال المقدرة من جزأي الملة ، وقد يمكن أن تسمى الآراء المقدرة أيضاً شريعة فيكون الشريعة والملة والدين أسماء مترادفة .(٣)

(١) أبونصر الفارابي : كتاب الملة ونصوص أخرى ص ٦٦ ، تحقيق د/ محسن مهدي ، ط دار المشرق الثانية – بيروت .
(٢) المرجع السابق ص ٤٣
(٣) المرجع السابق ص ٤٦

ويعطينا ظاهر كلام الفارابي عن مفهوم الملة قناعة بأن " لدى الفارابي مفهوماً غريبا إلى حد ما عن الدين ، فهو أولاً يتضمن (الآراء والأفعال) ، ومن ثم يؤدي هذان العنصران دوراً هاماً فيما يتعلق بتحصيل السعادة الفردية .. ثانيا: يوصف الدين علي انه نتيجة لأنشطة الحاكم (الرئيس الأول) وبتعبير أدق يصور هذا الحاكم على أنه الشخص الأول الذي أنشأ الآراء والأفعال التي يجب أن يعتنقها وينفذها المجتمع الذي يحكمه " [١] ومن اوجه الغرابة في تصور الفارابي للدين والتي تعطينا قناعة سلبية تجاه هذا المفهوم ما تصوره المعلم الثاني من قيام الرئيسي الأول الفاضل بالدفاع عن الآراء والأفعال الموجودة في الملة وتنفيذها " ليس من أجلها في نفسها ولكن من أجل الوصول إلى السعادة القصوى ، ومن ثم فليس الدين هدفاً بحد ذاته بل إنه أداة ، وبشكل أكثر تحديدا هو أداة للحكم " [٢]

هذه الأوجه السابقة تعطينا الحق في أن نقول بأن التصور الفارابي للدين على هذا النحو السابق ينتقص من قيمة الدين السماوي خصوصاً الاسلام ، حيث ينكر الفارابي صراحة وضع الدين كمجال مستقل للحكمة والمعرفة ، ويرفض ادعاءه الحقيقة المطلقة ، وينزل به إلى كون الدين مجرد أداة للحكم .

ويرى البعض من الباحثين أن التقييم لآراء الفارابي ينبغي ألا تكون عن بعد ، ويستحب أن تكون في سياقها الخاص وفقاً لآراء الفارابي الأنطولوجية والابستمولوجية ، وبالتالي فتحديد المقصود بالدين وفقاً لرأي المعلم الثاني يشير الى أنه " ليس المقصود بالدين هنا الاسلام أو الاديان السماوية أو الدين بإطلاق اللفظ ، وإنما المقصود هو الدين وفق تصور الفارابي ، وبالتحديد الدين الفاضل في تصوره " [٣]

على أية حال فقد جعل الفارابي الملة الفاضلة أساساً من أسس البنيان الفكري لمدينته الفاضلة ، كما جعل الفلسفة أيضاً من جملة هذه الأسس على اعتبار أن غاية الفلسفة لا تختلف عن غاية الدين ، فالغاية النهائية في الفلسفة تحقيق السعادة

(١) فلسفة الفارابي للمجتمع والدين . موسوعة ستانفورد للفلسفة ، ترجمة عمرو بسيوني ، مي فؤاد ، منشور بمجلة حكمة ص ١٨ عام ٢٠١٨م

(٢) المرجع السابق ص ١٨ – ١٩

(٣) الفلسفة والدين في مدينة الفارابي الفاضلة د/ عزمي طه السيد ص ٧٨ ، ط عالم الكتب الحديث ٢٠١٥م

في هذه الحياة الدنيا والسعادة القصوى في الآخرة ، وذلك من خلال اكتساب أهل المدن والأمم أنواع الفضائل من نظرية وفكرية وعملية وخلقية ، وغاية الدين الفاضل هي نفس هذه الغاية أن ينال اتباع الدين الخيرات في هذه الحياة الدنيا والسعادة القصوى في الآخرة (١)

إن هذه الغاية المشتركة بين الحكمة والشريعة لا تتحقق في التصور الفارابي إلا بإقامة المدينة الفاضلة التي يقوم على رأسها: إما النبي أو الفيلسوف الكامل أو مجموعة من الأفراد المتميزين من بينهم حكيم فيلسوف (٢) ، هذه الغاية هي غاية مدنية ، أي غاية اجتماعية وسياسية معاً ، وهي أيضاً غاية إنسانية إذ تجعل سعادة الانسان محورها وهدفها .

ولمزيد بيان دور كل من الفلسفة والملة في المدينة الفاضلة نقول إذا " كان التوسل بالفلسفة ضرورة اقتضتها الحاجة لعلاج فساد الآراء وبلوغ السعادة القصوى ، فإن تفاوت قدرات ومراتب الأفراد العقلية ، فرض تفهيمهم الحقائق المجردة على نحو تصوري ، فالحقائق ترتسم في نفس الفيلسوف بالبرهان ، بينما ترتسم في نفوس العامة من خلال التخيلات والصور والتشبيهات ، من هنا تبرز الحاجة الملحة للملة. (٣)

فلا غرو إذا نذر الفارابي جهده لنزع فتيل التوتر والمعاندة بين الفلسفة والملة ، وإبراز دورها في تحقيق ائتلاف أجزاء المدينة .

خلاصة ما سبق تتمثل في " لفت النظر إلى أن الملة شأنها شأن الفلسفة إنما تخدم غرضاً سياسياً يتمثل في توحيد أهل المدينة على آراء صحيحة ، أو على الأقل مدَّهم بقابليات تصديق الآراء الصائبة من خلال استنباط الأفعال الخيرة ، وعبر تفهيمهم ما عسر عليهم من خلال الاقناع والتخييل . (٤)

(١) راجع : تحصيل السعادة للفارابي ص ٨٩ ، تقديم وشرح د/ علي بوملحم ، ط دار مكتبة الهلال ١٩٩٥م

(٢) آراء أهل المدينة الفاضلة ص ١٢٥ وما بعدها

(٣) راجع : تحصيل السعادة للفارابي ص ٨٨ وما بعدها ، وأيضاً آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٤٧ وما بعدها وأيضاً كتاب الحروف للفارابي الفصل التاسع عشر

(٤) مدينة السماء ومدينة الارض لدى الفارابي ص ١٩٤

بعد بيان دور الفلسفة والملة في المدينة الفاضلة شرع الفارابي في بيان علاقة الفلسفة بالملة فقال " الملة الفاضلة شبيهة بالفلسفة " [١] ووجه التشابه المذكور هنا هو كون الملة تضم جزأين احدهما نظري هو الآراء وآخر عملي هو الأفعال ، كما أن الفلسفة تضم هذين الجزأين أيضاً النظري والعملي . وهذا التشابه في الجملة ولا يعني أن أهداف هذه الأجزاء المتناظرة – النظري والعملي – واحدة في كل من الملة والفلسفة، وبالتالي لا ينبغي أن نخدع بقول المعلم الثاني " إن الفلسفة والدين يشملان على موضوعات بأعيانها ، وكلتاهما تعطيان المبادئ القصوى للموجودات .. وتعطيان الغاية القصوى التي لأجلها كون الانسان، وهي السعادة القصوى " [٢] لأن هذا التشابه المذكور هنا في الموضوع والغاية لا يعني تشابها في الاسلوب والمنهج بسبب أن " كل ما تعطيه الفلسفة من هذه – الموضوعات المشتركة – معقولاً أو متصوراً ، فإن الملة تعطيه متخيلاً ، وكل ما تبرهنه الفلسفة من هذه فإن الملة تقنع " [٣] وعلى هذا فوجود بعض الشبه بين الدين والفلسفة لا يلغي وجود اوجه خلاف بينهما وهذا ينفي أن تكون الفلسفة هي الملة من كل وجه . فالملة في التصور الفارابي أقل شأناً من الفلسفة التي أعلى الفارابي من شأنها وجعل الدين تحتها في أحيان كثيرة [٤] ، وهذا ما لا يليق ولا نقبله .

الأساس الرابع : ضرورة الرئيس للمدينة الفاضلة وصفاته .

بالوصول إلى هذا الأساس نكون قد دخلنا فى عمق الفكر السياسي للمعلم الثاني حيث بلغ الاهتمام برئيس المدينة الفاضلة في فكره مبلغا عظيما ، ويتضح هذا الاهتمام من خلال إلقاء الضوء على عدة جوانب تتعلق بقضية الرئيس على النحو التالي :-

(١) كتاب الملة ص ٤٦

(٢) تحصيل السعادة ص ٨٩

(٣) المرجع السابق ص ٨٩ – ٩٠

(٤) من نماذج ذلك قول الفارابي " الجزءان اللذان فيهما تلتئم الملة " الفاضلة" – يقصد الآراء والأعمال – هما تحت الفلسفة " الملة ص ٤٧ ، وهذه التحتية تثير في الذهن معنى الدونية وإن حاول الفارابي تبريرها فلسفياً بعد ذلك .

أ- أهمية الدور الرئاسي في مدينة الفارابي الفاضلة .

لعل أهم ما ورد فى الفكر السياسي عند الفارابي هو الدور الذى يخصصه للحاكم (وهنا يظهر مدى التأثير الإسلامي – وهو تأثير طبيعي – فى فكر فليسوفنا فقد أخذ المعلم الثاني من أفلاطون "فوقية " تفكيره ومن أرسطو "أرضية " تعاليمة فى بناء المجتمع الفاضل العادل، ثم اتجه نحو الإسلام ليأخذ منه ما يشاء من أجل استكمال بناء تفكيره السياسي) [١]

وربما يعود اهتمام الفارابي بقضية الرئيس إلى أنه عاش فى بغداد وسط المناظرات الدائرة بين الفرق الكلامية حول قضية الإمامة التى فرضت نفسها على الساحة الإسلامية ونالت قدرا من اهتمام علمائنا بها حيث تشعبت الآراء واختلفت الفرق حول طاعة الإمام واختياره ووجوب تنصيبه خصوصا بين السنة والشيعة، عايش الفارابي هذا النزاع وتأثر بلا شك بما دار حوله من مناظرات ومجادلات بخصوص هذه القضية .

وقبل أن نذكر رأى الفارابي فى أهمية الرئيس فى البناء الفكري لمدينته الفاضلة نود أن نشير إلى أن هذه الاهمية لمنزلة الرئيس ومكانة الإمام قد اهتم بها المتكلمون فها هم أعلام الفكر الأشعري يقررون ذلك وهم بصدد الحديث عن قضية الإمامة وعلى سبيل المثال يقول حجة الإسلام الغزالي " لا يتمارى عاقل في أن الخلق على اختلاف طبقاتهم وما هم عليه من تشتت الأحوال وتباين الأراء ، ما لم يكن لهم رأى مطاع يجمع شتاتهم لهلكوا من عند آخرهم وهذا داء لا علاج له إلا بسلطان قاهر مطاع يجمع شتات الآراء فبان أن السلطان ضروري فى نظام الدنيا ، ونظام الدنيا ضروري فى نظام الدين ونظام الدين ضروري فى الفوز بسعادة الآخرة وهو مقصود الأنبياء قطعا فكان وجوب نصب الإمام من ضروريات الشرع الذى لا سبيل إلى تركه "[٢]

(١) الفكر السياسي عند الفارابي ، وليد فستق ص ١١٢

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد الامام الغزالي ص ٣٩٤ – ٣٩٥ ، ط سقيفة الصفا العالمية ، ماليزيا ١٤٣٧هـ ، ٢٠١٦م

ولهـذا قيـل : الـدين والسـلطان توأمـان ... الـدين أس والسـلطان حـارس وما لا أس له فمهدوم وما لا حارس له فضائع . (١)

ومن بعده يقول الإمام الإيجي (إنا نعلم علما يقارب الضرورة أن مقصود الشارع فيما شرع من المعاملات والمناكحات والجهاد والحدود والمقاصات وإظهار شعار الشرع في الأعياد والجمعات إنما هو مصالح عائدة إلى الخلق معاشا ومعادا وذلك المقصود لا يتم إلا بإمام يكون من قبل الشارع يرجعون إليه فيما يعن لهم فإنهم مع اختلاف الأهواء وتشتت الآراء وما بينهم من الشحناء قلما ينقاد بعضهم لبعض فيفضي ذلك إلى التنازع والتواثب وربما أدى إلى هلاكهم جميعا .. وذلك يؤدى إلى رفع الدين وهلاك جميع المسلمين ففى نصب الإمام دفع مضرة لا يتصور أعظم منها بل نقول نصب الإمام من أتم مصالح المسلمين وأعظم مقاصد الدين " (٢)

ولما كان الفارابي أمينا لفلسفته ومعتزا بمذهبه العقلي فقد نظر للقضية من منظوره الفلسفي فأولى رئيس دولته مكانة خاصة، حيث اعتبره المصدر الأول والأساسي فى المدينة الفاضلة ، ويشبه دور هذا الرئيس فى تصريفه للأمور وتدبيره للسياسات فى المدينة دور واجب الوجود فى تدبير الكون ومكانته من الموجودات "ومدبر تلك المدينة شبيه بالسبب الأول الذى به وجود سائر الموجودات " (٣)

ومن هنا فإن المدينة الفارابية "تعقد آمالها على الرئيس فهو قمتها الشامخة والمهيمن على شئونها كلها ويكتسب الأفراد شرفهم بمقدار قربهم منه وصلتهم به، وهم جميعا رهن إشارته يؤممونه ويقتفون أثره " (٤)

ومن ناحية أخرى يوضح الفارابي أهمية الرئيس داخل مدينته الفاضلة من خلال تشبيه المدينة بجسم الإنسان ، فالرئيس بالنسبة للمدينة بمثابة القلب الذى هو

(١) المرجع السابق ص ٣٩٤

(٢) المواقف ، الامام عضد الدين الايجي مع شرحه للشريف الجرجاني .ج ٨ ، ص ٣٤٦ – ٣٤٧ ، ط مطبعة السعادة ١٩٠٧ م

(٣) السياسة المدنية للفارابي ص ٨٤ ، وآراء أهل المدينة الفاضلة ص ١٢١

(٤) المجتمع المثالي د/ المسير ص ١٨٣ .

أهم عضو بالنسبة للإنسان وتبلغ أهمية الرئيس فى التصور الفارابي حدا يجعله السبب فى وجود المدينة ووجود الأفراد فهو يوجد أولاُ ، ثم يوجد بعد ذلك الأفراد والمكونون للمدينة الفاضلة بتواجدهم فيما بعد "وكما أن القلب يتكون أولا ثم يكون هو السبب فى أن يكون سائر أعضاء البدن والسبب فى أن تحصل لها قواها وأن ترتب مراتبها ، فإذا اختل منها عضو كان هو المرفد بما يزيل عنه ذلك الاختلال كذلك رئيس هذه المدينة ينبغي أن يكون هو أولا ، ثم يكون هو السبب فى أن تحصل المدينة وأجزاؤها والسبب فى أن تحصل الملكات الإرادية التي لأجزائها فى أن تترتب مراتبها وإن اختل فيها جزء كان هو المرفق له بما يزيل اختلاله " (١)

ويترتب على ما ذكره الفارابي هنا "أن رئيس المدينة الفاضلة هو الذى ينفرد وحده بتدبير أمورها ، فليس هناك أي إنسان أو أية هيئة أخرى يمكنها أن تستقطع جزءا من سلطانه ، وهو الذى يرأس ولا يُرأس ، ويرتب الوظائف الاجتماعية على أساس من التفاضل والتكامل فى الوقت نفسه فتكون هناك مراتب تقرب من مرتبته ومراتب تبعد عنها قليلا ومراتب تبعد عنها كثيرا وكلما تقربت الأعضاء منه كانت أعمالها أشرف ، وكلما بعدت عنه كانت أعمالها أقسى وينبغي على جميع الطوائف أن تؤم الرئيس الأول وتحذو حذوه وتقتفى أفعالة باعتباره مصدر الحياة والحركة والمثل الأعلى فى الدولة " (٢)

ونفهم من خلال هذا النص أيضا أن المعلم الثاني يربط وجود المدينة والأفراد بوجود الرئيس ورغم أن المدينة لا تتحقق فى أرض الواقع إلا بوجود المواطنين الذين ينتمون إليها إلا أن الفارابي لم يجعل لهم أي دور فى اختيار رئيسهم فهو لا ينتخب من بينهم بل يوجد هو أولا ثم يصبح هذا الوجود للرئيس سببا فى وجود المدينة والأفراد ، إضافة إلى ذلك فإن الرئيس سبب فى وصول الملكات المختلفة للأفراد وهو

(١) آراء أهل المدينة الفاضلة ص ١٢٠

(٢) نظرية الدولة عند الفارابي د/ مطصفى سيد أحمد صقر ص ٧٠ ، ط مكتبة الجلاء الجديدة بالمنصورة ١٩٨٩م .

عنصر التوازن والاستقرار للمدينة ومن فيها علي ما صرح المعلم الثاني وفي ظل ذلك "يبدو فى هذه الاتجاه السياسي نزعة فردية شديدة لأن الفارابي يعول هنا بشكل كامل على الفرد الحاكم فى تغيير الواقع وإقامة الحضارة وتوجيه التاريخ أما الشعب فكما يبدو من هذا النص له دور ثانوي أو ليس له دور يذكر " (١)

ب- شروط الرئيس وصفاته فى التصور الفارابي :

من الطبيعي وقد جعل المعلم الثاني وجود المدينة وبقاءها بل ووجود مواطنيها وقفا على الرئيس ، ألا يسلم هذه الرئاسة لأى شخص اتفق وتجدر الإشارة قبل البدأ في بيان صفات الرئيس أن الفارابي يسمى الحاكم في مدينته الفاضلة بأسماء مختلفة فهو يطلق عليه لقب الإمام أو الملك والرئيس الأول أو الفيلسوف أو واضع النواميس فما المقصود بهذه الالقاب ياترى ؟ وهل تختلف دلالاتها أم لا ؟

يجيبنا المعلم الثاني بقوله "إن معنى الفيلسوف والرئيس الأول والملك وواضع النواميس والإمام معنى كله واحد ، وأي لفظة ما أخذت من هذه الألفاظ ثم أخذت ما يدل عليه كل واحد منها عند جمهور أهل لغتنا وجدتها كلها تجتمع فى آخر الأمر فى الدلالة على معنى واحد بعينه " (٢)

وقد يبدو غريبا أن تجتمع هذه الألقاب ذات الدلالات المختلفة على معنى واحد عند الفارابي لكن يبدو وأن الرجل قد ركز على أن القاسم "المشترك الذى يجمع بين هذه الألقاب جميعا هو أن كلا منها يتطلب توافر الفضائل النظرية والعملية فى الحاكم بحيث تكون صناعته هى أعظم الصناعات قوة ، وفضيلته أعظم الفضائل قوة ، وفكرته أعظم الفكر قوة ، وعلمه أعظم العلوم قوة ، وأن تكون لدية القدرة على إيجاد هذه الفضائل فى الأمم والمدن بالوجه والمقدار الممكنين أى أن كلا منها يتضمن معنى الفضيلة العظمى والقوة العظمى " (٣)

(١) الانسان في الفلسفة الاسلامية د/ ابراهيم عاتي ص ٢٥٤ .

(٢) تحصيل السعادة ص ٩٤

(٣) نظرية الدولة د/ مصطفى سيد احمد ص ٧٤

وعلى أية حال فالرئيس ينبغي أن يكون معدا لذلك بالفطرة وبالطبع والملكة الارادية ، أي بمواهب فطرية وتوجيه صحيح ، وفي ذلك يقول الفارابي " و رئيس المدينة الفاضلة ليس يمكن أن يكون أي إنسان اتفق لأن الرئاسة إنما تكون بشيئين : أحدهما أن يكون بالفطرة والطبع معدا لها ، والثاني بالهيئة والملكة الارادية " (١)

معنى هذا أن الرئاسة فى التصور الفارابي تكون إما بالفطرة التي فطر عليها الإنسان فهي منحة من الله وهبة منه لصاحبها ، أو تكون الإنسان فاضل توفرت له مجموعة من القدرات والملكات اكتسبها بإرادته وكسبه ، فتفوق بذلك على غيره من أهل مدينته ويظهر من هذا مدى حرص الفارابي على تميز الرئيس أو الملك بالقوة الفكرية التي لا تتوافر إلا فى من كان معدا لها بالفطرة والطبع أولا ثم بالملكة الإرادية ثانيا، ومعنى هذا أنه ليس فى وسع كل إنسان أن يكون ملكا لأن الملوك ليسوا ملوكاً بالإرادة فقط ولكنهم ملوك بالطبيعة والملكات التي يمتلكونها .

كما ينبغي أن يكون هذا الرئيس من أهل الطبائع الفائقة وقد بلغ كمال العقل وكمال المتخيلة فأصبح بما يفيضه العقل الفعال على قوته الناطقة حكيما فيلسوفا وبما يفيضه على قوته المتخيلة نبيا منذرا ، هذا الإنسان الذى اجتمعت فيها خاصتا النبوة والحكمة يكون فى أكمل مراتب الإنسانية وأعلى درجات السعادة "وإذا حصل ذلك . يشير إلى فيض العقل الفعال – فى كلا جزئي قوته الناطقة وهما النظرية والعملية ، ثم فى قوته المتخلية كان هذا الإنسان هو الذى يوحى إليه فيكون الله عز وجل يوحى إليه بتوسط العقل الفعال فيكون ما يفيض من الله تبارك وتعالى إلى العقل الفعال يفيضه العقل الفعال إلى عقله المنفعل بتوسط العقل المستفاد ثم إلى قوته المتخيلة فيكون بما يفيض منه إلى عقله المنفعل حكيماُ فليسوفا ومتعقلا على التمام وبما يفيض منه إلى قوته المتخيلة نبيا منذرا بما سيكون ومخبرا بما هو الآن من الجزئيات ، بوجود يعقل فيها الإلهي، وهذا الأنسان فى اكمل مراتب الإنسانية

(١) آراء المدينة الفاضلة ص ١٢٢

وفى أعلى درجات السعادة ، وتكون نفسه كاملة .... فهذا أول شرائط الرئيس ." [١]

ثم يضيف الفارابي بعد هذا الشرط شروطا أخرى قائلا "ثم أن يكون له مع ذلك قدرة بلسانه على جودة التخيل بالقول لكل ما يعلمه وقدرة على جودة الإرشاد إلى السعادة وإلى الأعمال التي بها تبلغ السعادة ، وأن يكون له مع ذلك جودة ثبات ببدنه لمباشرة أعمال الجزئيات " [٢]

ونظرا لما منحه الفارابي لرئيس مدينته من سلطات واسعة ومهام جسيمة فقد تشدد كثيرا في الشروط والصفات الواجب أن يتحلى بها الإمام ، فبالإضافة إلى ما سبق من شروط نجده بعد ذلك يعقد فصلا خاصا لذكر أهم الصفات التي ينبغي أن يتمتع بها الرئيس من وجهة نظر المعلم الثاني والتي بلغت اثنتي عشرة خصلة تتمثل فيما يلى :-

١) أن يكون تام الأعضاء ، قواها مؤاتيه أعضاءها على الأعمال التي شأنها أن تكون بها ومتي همَ عضو ما من أعضائه عملا يكون به فأتى عليه بسهولة .
٢) أن يكون بالطبع جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له فيلقاه بفهمه على ما يقصده القائل وعلى حسب الأمر فى نفسه.
٣) أن يكون جيد الحفظ لما يفهمه ولما يراه ولما يسمعه ولما يدركه وفى الجملة لا يكاد ينساه.
٤) أن يكون جيد الفطنة ذكيا إذا رأى الشيء بأدنى دليل فطن له على الجهة التى دل عليها الدليل.
٥) أن يكون حسن العبارة يؤاتيه لسانه على إبانة كل ما يضمره إبانةً تامة.
٦) أن يكون محبا للتعليم والاستفادة منقادا له سهل القبول لا يؤلمه تعب التعليم ولا يؤذيه الكد الذي ينال منه

(١) المرجع السابق ص ١٢٥ – ١٢٦
(٢) المرجع السابق ص ١٢٦

٧) أن يكون غير شره على المأكول والمشروب والمنكوح متجنبا بالطبع للعب مبغضا للذات الكائنة عن هذه .

٨) أن يكون محبا للصدق وأهله مبغضا للكذب وأهله .

٩) أن يكون كبير النفس محبا للكرامة، تكبر نفسه بالطبع عن كل ما يشين من الامور وتسمو نفسه بالطبع إلى الأرفع منها .

١٠) أن يكون الدرهم والدينار وسائر أعراض الدنيا هينة عنده .

١١) ان يكون بالطبع محبا للعدل وأهله ومبغضا للجور والظلم واهلهما يعطى النصف من أهله ومن غيره، ويحث عليه ويؤتى من حل به الجور مؤاتيا لكل ما يراه حسنا وجميلا ثم أن يكون عدلا غير صعب القياد ولا جموحاً ولا لجوجاً إذا دعي إلى العدل بل صعب القياد إذا دعي إلى الجور وإلى القبيح .

١٢) ان يكون قوي العزيمة على الشيء الذى يرى أنه ينبغي أن يفعل جسورا عليه مقداما غير خائف ولا ضعيف النفس . [١] فهذا هو الرئيس الذى لا يرأسه إنسان آخر أصلا وهو الإمام وهو الرئيس الأول للمدينة الفاضلة وهو رئيس الأمة الفاضلة، ورئيس المعمورة من الأرض كلها .[٢]

والملاحظ أن معظم الصفات التي اشترطها المعلم الثاني لرئيس مدينته الفاضلة تميل إلى الجانب الفكري وما سوي ذلك خادم لهذا المقصد الأهم فالفارابي يريد من رئيسه أن يكون تام الأعضاء حتى لا يكون من أصحاب العاهات التي تعوقه عن مهمته وتقعده عن القيام بواجباته ومن الصفات التي تختص بالجانب العقلي ما اشترطه الفارابي من جودة الفهم والتصور لما يدور حوله وسرعة الحفظ والإدراك وحسن العبارة التي تنم عن فطنته وسعة معرفته ولابد أن يكون الرئيس دائم التعلق بالعلم وحب الزيادة منه ليقوده ذلك إلى الكمال ، وأن يبتعد عن الشره والطمع ليكون فى حياته معتدلا زاهدا فى المال ومتع الحياة ، وفى الوقت نفسه يكون قوي

(١) آراء المدينة الفاضلة ص ١٢٧ ، ١٢٩ بتصرف يسير

(٢) المرجع السابق ص ١٢٧

العزيمة على الحق محبا للعدل كارها للظلم متأبيا عليه غير مستجيب لدعوات الوقوع فيه أو مباشرته فى مملكته .

والفارابي كما يقول ديبور "يصف أميره بكل فضائل الإنسانية وكل فضائل الفلسفة ، فهو أفلاطون فى ثوب النبي محمد "عليه الصلاة والسلام " (١)

إن هذا الرئيس "من الناحية المعرفية قريب الشبه بالإنسان الكامل عند ابن عربي وعبد الكريم الجيلي ولكنه من الناحية السياسية يمتلك سلطات لم يبحثها أولئك المتصوفة " (٢)

وتجدر الاشارة إلى أن الفارابي جعل الفلسفة علم وعمل ، فالسياسة عنده علم "لأن رئيس المدينة كان قد عرف الفلسفة ومارس الحكمة وأنه وحده القادر على إسعاد الناس إن الفلسفة سبيل قويم لإصلاح الملك ومع ذلك فإن الفارابي لا يريد من الحاكم الفيلسوف أن يقتصر على معرفة الفلسفة النظرية فحسب بل عليه أن يكون عمليا فى معاملة الرعية وله القدرة على إقناعهم على سلوك الدرب الصواب . (٣)

وإذا كانت السعادة القصوى تتحقق للرئيس الذي هو فى أكمل مراتب الإنسانية وفى أعلى درجات السعادة من خلال بلوغ الكمال الخاص عبر التأمل والتخييل "لكن تلك السعادة لا تدرك إلا من خلال أفعال إرادية تجسدها الفضائل وهي أفعال متعدية الأثر تحصل فى المدينة والظاهر أن تركيز الفارابي على تلك الكفايات العملية يبرز الهوية العملية والسياسية للرئيس الأول باعتباره خدوما لأهل المدينة وملتصقا بقضاياها إن الفارابي ينأى عن تحنيط الفلسفة فى مجرد علم لا يتوج بتحقيق الجميل(٤)

(١) تاريخ الفلسفة في الاسلام ، ديبور ، ترجمة د/ محمد عبدالهادي أبوريدة ص ٢٣٠ ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الاسرة ٢٠١٣م .

(٢) الانسان في الفلسفة الاسلامية ص ٢٥٧.

(٣) رئيس المدينة الفاضلة في فلسفة الفارابي د/ ناجي التكريتي ص ٨٧ من العدد الثاني مجلة المورد العراقية لسنة ٢٠٠٢م .

(٤) مدينة السماء ومدينة الأرض لدى الفارابي ص ١٩٠.

جـ – تعدد الرؤساء:

ولما كان وجود مثل هذا الانسان شبه الكامل الجامع بين النبوة والحكمة عزيز المنال وصعب التحقق فى أرض الواقع فكان لابد من البحث عن بديل يحدثنا الفارابى عن هذه الصعوبة بقوله "واجتماع هذه كلها فى إنسان واحد عسر، فلذلك لا يوجد من فطر على هذه الفطرة إلا الواحد بعد الواحد والأقل من الناس" (١)

وفى ظل هذه الصعوبة وعدم توفر الرئيس الأول الذي يتمتع بالخصال المشار إليها سابقا يكون هناك رئيس ثان يخلفه. حدد له المعلم الثاني ستة شرائط وهي :

١) أن يكون حكيما .
٢) ان يكون عالما حافظا للشرائع والسنن والسير التي دبرها الأولون للمدينة محتذياً بأفعاله كلها حذو تلك بتمامها .
٣) أن يكون له جودة استنباط فيما لا يحفظ عن السلف فيه شريعة .
٤) ان يكون له جودة روية وقوة استنباط لما سبيله أن يعرف فى وقت من الأوقات الحاضرة من الأمور والحوادث التى تحدث مما ليس سبيلها أن يسير فيه الأولون ويكون متحريا بما يستنبطه من ذلك صلاح حال المدينة .
٥) أن يكون له جودة إرشاد بالقول إلى شرائع الأولين .
٦) أن يكون له جودة ثبات ببدنه فى مباشرة أعمال الحرب .(٢)

والصفة الأخيرة تثبت أن الفارابى لا يجعل رئيسه مجرد حكيم مستغرق فى تأملاته وإنما رجل عملى يعد للحرب عدتها إذا اقتضى الأمر، وفى هذا درجة من الواقعية لا بأس بها . (٣)

ولم يقف المعلم الثانى عند هذا الحد فهو لم ينته من توقع الاحتمالات .

الاحتمال الاول :– عدم اجتماع هذه الشروط فى شخص واحد ولكن توفر

(١) آراء أهل المدينة الفاضلة ص ١٢٩
(٢) آراء أهل المدينة الفاضلة ص ١٢٩ – ١٣٠
(٣) الانسان في الفلسفة الاسلامية ص ٢٥٩

وجود شخصين أحدهما حكيم والثانى فيه الشرائط الباقية، كانا هما رئيسين فى هذه المدينة . [١]

الاحتمال الثانى : إذا توفرت الشروط المذكورة فى جماعة وكانت الحكمة فى واحد والثانى فى واحد والثالث فى واحد والرابع فى واحد والخامس فى واحد والسادس فى واجد وكانوا متلائمين كانوا هم الرؤساء الأفاضل . [٢]

وقد ترك الفارابى تفاصيل مثل هذا الحكم الجماعى جانبا ولم يشأ من هذا الطرح الجديد سوي التأكيد مرارا وتكرارا على أنه لا مفر من اجتماع شروط الرئاسة فى الحكم الرئاسى سواء كان ذلك فى شخص واحد (الحكيم النبى) أو فى شخصين كما فى الاحتمال الأول أو فى عدة أشخاص كما فى الاحتمال الثانى .

والملاحظ أن الفارابى "يضع الحكمة على رأس الشروط الواجب توفرها عند رئيس المدينة وتكاد هذه الخصلة أن تكون الحد الفاصل بين الشخص وين الرئاسة فهي فى كفة وبقية الصفات فى كفة أخرى وحيث توجد الحكمة تميل الكفة لصالحها اللهم إلا إذا تفرقت تلكم الصفات فى عدة أشخاص فيكونوا إذ ذاك رؤساء أفاضل" [٣]

والمعلم الثانى من خلال تأكيده المتكرر على ضرورة توفر شرط الحكمة أو الفلسفة فى الحاكم فردا كان أو جماعة كان حريصا على ربط السلطة بالمعرفة هذه المعرفة المتمثلة فى الفلسفة من وجهة نظره هى التى تمكن الحاكم من تدبير شئون الدولة التدبير المستنير وتكسبه القدرة على ممارسة السلطة وعلى تنظيم المواطنين وإلزامهم بالسياسات الموضوعة لنيل السعادة القصوى .

وتأكيدا لما سبق فإن المعلم الثاني لا يكتفى بالتأكيد على وجود الحكمة كشرط أساس للرئاسة بل يؤكد على الحكمة كشرط لوجود المدينة الفاضلة ، يقول المعلم الثانى "فمتي اتفق فى وقت ما أن لم تكن الحكمة جزء الرياسة وكانت فيها سائر الشرائط بقيت المدينة الفاضلة بلا ملك ، وكان الرئيس القائم بأمر هذه المدينة ليس

(١) آراء أهل المدينة الفاضلة ص ١٣٠

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣) الانسان في الفلسفة الاسلامية ص ٢٥٩

بملك وكانت المدينة تعرض للهلاك فإن لم يتفق أن يوجد حكيم تضاف الحكمة إليه لم تلبث المدينة بعد مدة أن تهلك . (١)

د – سلطات الحاكم فى المنظور الفارابي:

أشرنا فيما سبق الي ان الرئيس في مدينة الفارابي الفاضلة تتركز في شخصه جميع مظاهر السيادة والسلطة سواء على الصعيد التشريعي والتنفيذي والقضائي إلى جانب الدور التربوي الذي يضطلع به الحاكم فى دولة الفارابي إذ أنه مؤدب الأمم ومعلمها.

وقبل أن نفصل القول فى هذه السلطات التي منحها المعلم الثاني لرئيس دولته نؤكد أن الرجل جعل هذه السلطات الرئاسية مقيده بقيد عام يغلفها ويحدد المطلوب منها فما هو هذا القيد العام ؟؟؟ يجيبنا الفارابي بقوله "الملك فى الحقيقة هو الذي غرضه ومقصوده من صناعته التي يدبر بها المدن أن يفيد نفسه وسائر أهل المدينة السعادة الحقيقة، وهذه هي الغاية والغرض من المهنة الملكية، ويلزم ضرورة أن يكون ملك المدينة الفاضلة أكملهم سعادة إذ كان هو السبب فى أن يسعد أهل المدينة " (٢)

وهذا يعنى أن الفيلسوف الحاكم الذي خوله المعلم الثاني مهمة رئاسة الدولة هو وحده القادر على ضمان سعادة كاملة للمدينة والفلسفة بطبيعة الحال هي الوسيلة المثلى لتحقيق ذلك.

من هنا رأينا الفارابي يعتبر الرئيس هو السلطة العليا التي تستمد منها جميع السلطات والمثل الأعلى الذي ينظم جميع الكمالات فهو مصدر حياة المدينة وقوام نظامها.

ولمزيد من إيضاح سلطات الحاكم فى مدينة الفارابي بعد هذا القيد العام الذي ذكرناه آنفا نعرض فيما يلى لأهم هذه الاختصاصات التي اختص بها المعلم الثاني رئيس دولته.

(١) آراء المدينة الفاضلة ص ١٣٠

(٢) فصول منتزعة ص ٤٧

١) السلطة التشريعية :

الرئيس فى الدولة الفارابية هو واضع النواميس بما يملكه من قوة الفهم وجودة المعرفة بشرائط المعقولات العملية والقدرة على استخرجها "فواضع النواميس هو الذى له قدرة على أن يستخرج بجودة فكرته بشرائطها التى بها تصير موجودةً بالفعل وجوداً تنال به السعادة القصوى .... وليس يمكن أن تحصل له هذه الأشياء معقولة . وتصير بها ماهية وضع النواميس رئيسةً أولي دون ان يكون قد حاز قبل ذلك الفلسفة فلذلك صار الملك على الإطلاق وهو بعينة الفيلسوف وواضع النواميس " (١)

ومن ناحية أخرى يوضح لنا المعلم الثاني مضمون هذه السلطة التشريعية التى أولاها لرئيس دولته ويحدد إطارها الذى رسمه لها بقوله "ومدبر المدينة وهو الملك " إنما فعله أن يدبر المدن تدبيرا ترتبط به أجزاء المدينة بعضها ببعض ، وتأتلف وترتب ترتيباً يتعاونون به على إزالة الشرور وتحصيل الخيرات وأن ينظر فى كل ما أعطته الأجسام السماوية فما كان منها معينا ملائما بوجه ما نافعا بوجه ما فى بلوغ السعادة استبقاه وزيد.... فيه، وما كان ضاراً اجتهد فى أن يصيره نافعا ، وما لم يمكن ذلك فيه أبطله أو قلله ، وبالجملة يلتمس إبطال الشرين جميعا وإيجاب الخيرين جميعا ويحتاج فى كل واحد من أهل المدينة الفاضله إلى أن يعرف مبادئ الموجودات القصوى ومراتبها والسعادة والرئاسة الأولى التى للمدينة الفاضلة ومراتب رئاستها ، ثم من بعد ذلك الأفعال المحدودة التى إذا فعلت نيلت بها السعادة ، وألا يقتصر على أن تعلم هذه الأفعال دون أن تعمل ويؤخذ أهل المدينة بفعلها . ((٢))

ولا شك أن ما ذهب إليه الفارابى هنا مخالف لما قرره أئمتنا من أن الخليفة المنتخب يرأس السلطة التنفيذية لتطبيق القوانين فى مخالف أوجه الحياة الدينية والدنيوية ، وهو رمز وحدة الدولة وتماسكها وليس للرئيس عندهم هذه السلطة التشريعية التى ناطها المعلم الثانى بحاكم دولته .

---

(١) تحصيل السعادة ص ٩١ ، ٩٣

(٢) السياسة المدنية ص ٨٤ ، ٨٥

وبالتالى لليس للخليفة أو الرئيس الحق فى وضع القوانين بشكل مطلق كما ذكر الفارابي لأن التشريع عندنا إنما يستخدم أولا من الكتاب والسنة ثم بعد ذلك يفتح الباب أمام الاجتهاد العقلي الذى يعمل وفق ضوابط الوحى ويؤكد ذلك حديث سيدنا معاذ رضى الله عنه وأرضاه " ((١))

ويري البعض" أن الفارابي تحاشي الدخول فى تفاصيل سلطة الرئيس مكتفيا بتحديد الشروط التى يجب توافرها فيه ، والإطار العام لممارسته السياسية بإعتباره واضع القوانين ثم الهدف الأول من وجوده هو الأخذ بين الدولة نحو السعادة وما نعتقد أن المفكر الإسلامى أراد تجاوز القرآن عندما ذهب مذهب أفلاطون فى إعطاء الرئيس الحاكم مهمة وضع التشريع القانونى بل لعله أراد أن يذهب مذهب الاعتدال فى عدم أعتبار الكتاب المقدس مصدرا وحيدا للتشريع " ((٢))

ويقوى هذا الفهم أن سلطة الملك التي قررها الفارابي فى الجانب التشريعى سلطة محدودة أو مقيدة فالفارابي وإن أكد أهمية الملائمة المستمرة بين حاجات الزمن والظروف الملابسة وبين التشريعات المتناسبة التي ترضى تلك الحاجات ، إلا أنه لم يبح فى ظل النظام السني التقليدي التغيير الجوهري للقواعد الأساسية التى وضعها صاحب الشريعة وإنما قصر التغيير على نوع من الاستنباط والاستخراج عن الأشياء التى صرح واضع الشريعة بتقديرها وإذا كان الأمر كذلك فإنه يلزم فى ملك السنة أن يكون فقيها وأن يستعمل للوصول إلى هذا الغرض صناعة الفقه ((٣))

(١) لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم سيدنا معاذا إلى اليمين قال له : كيف تقضى إذا عرض لك قضاء ؟ قال أقضي بكتاب الله قال فإن لم تجد فى كتاب الله ؟ قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فإن لم تجد فى كتاب الله ولا سنة رسول الله ؟ قال أجتهد رأيي ولا آلو فقربه رسول الله صلى الله عليه وصلم إلى صدره وقال الحمد الله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله . الحديث أخرجة الإمام أحمد والترمزى وأبو داود وغيرهم انظر مسند طعام احمد ص ٥ ، ص٢٣٠ حديث رقم ٢٢٣٥٧

(٢) الفكر السياسى عند الفارابي . د/ وليد رستم ص ١١٧ ، ١١٨

(٣) انظر فى ذلك : نظرية الدولة عند الفارابي ص ٩٥ : ٩٦ وقارن كتاب الملة للفاربي ص ٥٠ : ٥٢

٢) السلطة القضائية :

يلعب العدل دورا أساسيا فى مدينة الفارابي الفاضلة ، إذ هو ركيزة أساسية من ركائز بقاء الدولة واستمرارها متماسكة لا يتطرق إليها التفكك أو الانهيار وفي ذلك يقول المعلم الثانى "أجزاء المدينة ومراتب أجزائها يأتلف بعضها مع بعض وترتبط بالمحبة ، وتتماسك وتبقى محفوظة بالعدل و أفاعيل العدل "((١))

وبما أن الحاكم هو المسئول الأول عن تطبيق العدل وتوزيعه بين المحكومين كما هو مقرر فى غالب الفلسفات السياسية ، فإن جوهر الوظيفة القضائية لرئيس دولة الفارابي يتحدد بناء على نظرة المعلم الثانى العامة لقضية العدل هذه النظرة التى تفرق بين العدل فى المدن الضالة وأساسه القهر والتغلب والعدل فى المدن الفاضلة وأساسه المساواة وهذا العدل الأخير ينقسم فى التصور الفارابي "إلى عدل توزيعى وعدل تبادلى أو تصحيحى والعدل التوزيعي يتحقق بأن تقسم الخيرات المشتركة فى الدولة – معنوية كانت أو مادية – بين جميع المواطنين لا على أساس المساواة الحسابية المطلقة وإنما على أساس من المساواة النسبية وفق جدارة المواطن وأهليته فى شئون الرياسة السياسية والاجتماعية وفي شئون المهارات والمهن الصناعية وما تعتمد عليه من تفوق علمى وأخلاقى وعملى أما العدل التبادلى أو التصحيحي فإنه مكمل للعدل التوزيعى ولا تظهر الفائدة منه إلا بعد أن يكون العدل التوزيعى قد تحقق بالفعل كما أن الفائدة من العدل التوزيعي لا تستمر إلا عن طريق العدل التصحيحى ، ويقوم هذا النوع من العدل على أساس المساواة الحسابية المطلقة والهدف منه هو أن يحصل كل طرق يدخل فى علاقه ما مع غيره على وضع متساوٍ مع الطرف الآخر " ((٢))

وفى ذلك يقول الفارابي : العدل أولا يكون فى قسمة الخيرات المشتركة التى لأهل المدينة على جميعهم ، ثم بعد ذلك فى حفظ ما قسم عليهم ، وتلك الخيرات

(١) فصول منتزعة ص ٧٠

(٢) نظرية الدولة عند الفارابي ص٩٩

هى السلامة والأموال والكرامة ، والمراتب وسائر الخيرات التى يمكن أن يشتركوا فيها . فإن لكل واحد من أهل المدينة قسطا من هذه الخيرات مساويا لاستئهاله له ، فنقصه عن ذلك وزيادته عليه جور ، أما نقصه فجور عليه ، وأما زيادته فجور على أهل المدينة ، وعسى أن يكون نقصه أيضا جورا على أهل المدينة " ((١))

فى ضوء هذا المفهوم للعدل يحدد المعلم الثانى طبيعة الوظيفة القضائية للحاكم بقولة "فإذا أقسمت واستقر لكل واحد قسطة ينبغى بعد ذلك أن يحفظ على كل واحد من أولئك قسطه ، إما بألا يخرج عن يده ، وإما بأن يخرج بشرائط وأحوال لا يلحق من خروج ما يخرج عن يده من قسطه ضرر لا به ولا بالمدينة وما يخرج عن يد الانسان من قسطه من الخيرات فهو إما بإرادته مثل البيع والهبة والقرض وإما بلا إرادته مثل أن يسرق أو يغصب " ((٢))

ومعنى هذا أن رئيس دولة الفارابي من سلطاته القضائية أن يحفظ على كل فرد من أفراد الرعية نصيبه من الخيرات المشتركة التى آلت إليه سواء كانت ماديه أو معنوية .. وهذا الحفظ يأتى بعد قيام الرئيس بقسمتها بين الأفراد كل على حسب ما يستحقه وليس على أساس من المساواة الحسابية . ومن مهام الرئيس القضائية أيضا فى ظل النقص السابق أن يعيد إلى كل فرد من أفراد دولته خيرا مساويا لما يخرج من يده سواء خرج بإرادته أم بغير إرادته على أن يكون ما يعود إليه نافعا للدولة أو غير ضار بها .

ولم ينسى المعلم الثانى مهمة توقيع العقوبات على من يستحقها ممن خرج على منظومة العدل هذه ، وتلك مهمة من مهام رئيس الدولة يشير إليها الفارابي

بقولة : والمخرج عن يد نفسه أو عن يد غيره قسطه من الخيرات متى كان ضاراً بالمدينة كان أيضا جائرا ومنع منه وكثير من يمنع يحتاج فى منعه إلى شرور توقع به وعقوبات وينبغي أن تقدر الشرور والعقوبات حتى يكون كل جور بحذائه

(١) فصول منتزعه ص ٧١ ، ٧٢

(٢) المرجع السابق ص ٧٢

عقوبة ما مقدره تفرض مساوية له فإذا نيل الفاعل للشر بقسط من الشر كان عدلا ، وإذا زيد عليه كان جورا عليه فى خاصة نفسة ، وإذا نقص كان جورا على أهل المدينة وعسى أن تكون الزيادة جورا على أهل المدينة ((١))

كل ذلك فى إطار من مراعاة التناسب بين الفعل والجزاء دول إهمال أو إسراف.

٣) السلطة التنفيذية

للجهاز الإدارى فى مدينة الفارابي الفاضلة طبيعة خاصة ، وعلى رأس هذا الجهاز يأتي رئيس الدولة الذى من مهامه ترتيب أجزاء هذا الجهاز الإدارى وتحديد مراتبة وفق نظام يشبه النظام الذى طبع الله به الوجود على اساس من التكامل والتفاضل وفى ظل هذا النظام الذى رسمه المعلم الثانى لرئيس دولته لا يتمتع الموظفون فى الجهاز الإداري للدولة بسلطة ذاتية ، وإنما هم تابعون للرئيس الأول ، مدينون له جميعا بالولاء المطلق والطاعة التامة ويتوحدون فى تبعية مطلقة لأوامر رئيسهم التى تفرض عليهم من أعلى وفق خطة تنفذ تنفيذ بيروقراطيا محكما

وفى ذلك يقول صاحب المدينة الفاضلة " ومراتب أهل المدينة فى الرئاسة والخدمة تتفاضل بحسب فطر أهلها وبحسب الآداب التى تأدبوا بها والرئيس الأول هو الذى يرتب الطوائف وكل إنسان من كل طائفة فى المرتبة التي هي استيهاله وذلك إما مرتبة خدمة أو مرتبة رئاسة ، فتكون هناك مراتب تقرب مرتبته ، ومراتب تبعد عنها قليلا ومراتب تبعد عنها كثيرا .. فالرئيس بعد أن يرتب هذه المراتب فإنه متى أراد بعد ذلك أن يحدد وصية فى أمر أراد أن يحمل أهل المدينة عليه أو وطائفة من اهل المدينة وينهضهم نحوها أو عزى بذلك إلى أقرب المراتب إليه و أولئك إلى من يليهم ثم لا يزال كذلك إلى أن يصل ذلك إلى من رتب للخدمة فى ذلك الأمر فتكون المدينة حينئذ مرتبطة أجزاؤها بعضها ببعض ومؤتلفة بعضها مع بعض ، ومرتبة بتقديم بعض وتأخير بعض ، وتصير شبيهة بالموجودات الطبيعية ومراتبها شبيهة أيضا بمراتب الموجودات التى تبتدئ من الأول وتنتهى إلى المادة الأولى

(١) المرجع السابق ص٧٣

والأسطقسات((١))

وارتباطها وائتلافها شبيها بارتباط الموجودات المختلفة بعضها ببعض وائتلافها ، ومدبر تلك المدينة شبيه بالسبب الأول الذى به وجود سائر الموجودات ثم لا تزال مراتب الموجودات تنحط قليلا قليلا فيكون كل واحد منها رئيسا ومرؤوسا إلى أن تنتهى الموجودات الممكنه التى لا رئاسة لها أصلا بل هي خادمة وتوجد لأجل غيرها وهى المادة الأولى والأسطقسات ((٢))

٤) وظيفة الحاكم التربوية والتعليمية .

يتوقف كون المدينة فاضلة أو فاسدة على حاكمها ، فإذا كان الحاكم عالما بقواعد الخير كانت المدينة فاضلة ، وإذا كان جاهلا بها كانت المدينة فاسدة وضالة ، وهذا الرئيس العالم بقواعد الخير الذى جمع بين الحكمة والنبوة من أكبر مهامه واعظم وظائفه العمل على صلاح أفراد شعبه ، ومن هنا وجب عليه أن يهتم بمرؤوسيه ويقوم بتعلمهم وتأديبهم ، فالملك فى الدولة الفارابية هو "مؤدب الأمم ومعلمها كما أن رب المنزل هو مؤدب أهل المنزل ومعلمهم ، والقيِم بالصبيان والأحداث هو مؤدب الصبيان والأحداث ومعلمهم " ((٣))

ويحدد الفارابي طريقتين للتعليم إحداهما خاصة بالفضائل النظرية والأخرى خاصة بالفضائل العملية ويميز الفارابي فى نظرته التربوية بين التعليم والتأديب ، فالتعليم خاص بإيجاد الفضائل النظرية فى الأمم والمدن ، أما التأديب فهو طريق لإيجاد الفضائل الخلقية والصناعات العملية فى الأمم ، والتعليم قول فقط أما التأديب فهو أن تعود الامم والمدنيين الأفعال الكائنة عن الملكات العملية ، بأن تنهض

(١) اسطقس : لفظ يونانى بمعنى الأصل ويراد به العنصر من العناصر الأربعة التى هى النار والهواء والماء والتراب أو الأرض وتسمى اسطقسات لأنها أصول المركبات التى هى المعادن والنباتات والحيوانات فلذلك قيل إنه آخر ما ينتهى إليه تحليل الأجسام فلا توجد فيها قسمة إلا إلى أجزاء متشابهة ، المعجم الفلسفى د / مراد وهبة وآخرون ص ١٤

(٢) السياسية المدنية ص ٨٣ ، ٨٤

(٣) تحصيل السعادة ص ٧٤

غرائزهم نحو فعلها ومن ناحية أخرى فإن التأديب قد يكون طوعا وقد يكون عن طريق الإكراه فكما أن رب المنزل والقيم بالصبيان يؤدبون بعض من يؤدبونه بالرفق والاقناع ويؤدبون بعضهم كرها "كذلك الملك ، فإن تأديبه الأمم يكون كرها أو طوعا من أجل ماهية واحدة فى أصناف الناس الذين يؤدبون ويقومون ، وإنما يتفاضل فى القلة والكثرة وفى عظم القوة وصغرها " ((١))

ويستتبع اختلاف أسلوب ومنهج التأديب بالضرورة اختلاف طوائف من يستخدمهم رئيس الدولة من أهل الفضائل وأهل الصنائع فى تأديب الأمم وأهل المدن فيلزم وجود طائفتين :-

طائفة يستعملهم فى تأديب من يتأدب من أهل المدينة طوعا ، وطائفة يستعملهم فى تأديب من سبيله أن يؤدب كرها ((٢))

إما التعليم وهو طريق تحصيل العلوم النظرية فأنه يعتمد على الطرق الاقناعية ، والقائم على تعليم العلوم النظرية الأئمة والملوك ، أو أن يكلف من يتوفر فيه حفظ العلوم النظرية وهذا النوع من التعليم للعلوم النظرية يخص به الفارابي ما يسميهم الخاصة وهؤلاء من تكون فيهم الرياسة الجزئية ((٣))

٥) السلطة العسكرية :

سبقت الإشارة إلى اشتراط الفارابي وجود عدة خصال فى رئيس مدينة الفاضلة كان من بينها "أن يكون له صورة ثبات ببدنه فى مباشرة أعمال الحرب ، وذلك أن يكون مع الصناعة الحربية الخادمة والرئيسة"((٤))

ودلالة ذلك فيما يتعلق بسلطات رئيس الدولة أن المعلم الثانى لم يقصر مهام الحاكم على السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية والتربوية فحسب ، وإنما هذه المهام تتسع لتضيف إلى ما سبق ما يسمى بالسلطة العسكرية والتى تعنى من بين ما

(١) المرجع السابق ص٧٤ : ٧٥

(٢) نظرية الدولة عند الفارابي ص١١١ وراجع تحصيل السعادة للفارابي ص ٨٠ ، ٨١

(٣) انظر الفلسفة الاسلامية د / رجاء احمد على ص٩٠ وقارن تحصيل السعادة للفارابي ص٧٥ وما بعدها .

(٤) أراء اهل المدينة الفاضلة ص ١٢٩ - ١٣٠

تعنى أن الحاكم هو المسئول الأول عن حماية دولته ضد كل اعتداء يقع عليها من أى عدو خارجى ، ومن هنا ينبغى أن تكون جميع الأدوات والآليات اللازمة للحرب تحت تصرفه سواء كانت رئيسية أو خادمة مساعدة.

ويقدم لنا المعلم الثاني تصوره عن طبيعة هذه السلطة العسكرية للحاكم من خلال حديثه عن أنواع الحروب والغاية منها والضوابط والقيم التى تميز المشروع منها وغير المشروع ومدى سلطة الحاكم فى هذا كله فيقول "الحرب تكون إما لدفع عدو ورد المدينة من خارج وإما لاكتساب خير تستأهله المدينة من خارج ممن فى يده ذلك وإما لان يحمل بها قوم ما ويستكرهوا على ما هو الأجود والأحظى لهم فى أنفسهم دون غيرهم ، متى لم يكونوا يعرفونه من تلقاء أنفسهم ولم يكونوا ينقادون لمن يعرفه ويدعهم إليه بالقول وإما محاربة من لا ينقاد للعبودية والخدمة ممن الأجود له والأحظى أن تكون رتبته فى العالم أن يخدم ويكون عبدا وإما محاربة قوم ليس من أهل المدينة حقا لهم عندهم منعوه وهذا شيء مشترك لأمرين هما جميعا من اكتساب خير للمدينة والآخر أن يحملوا على إعطاء العدلو النصفة .وإما محاربتهم ليعاقبوا عل جناية جنوها لئلا يعودا إلى مثلها ولئلا يجترئ على المدينة غيرهم ويطمع فيهم فهو داخل فى جملة اكتساب خير ما لأهل المدينة ورد أولئك القوم إلى حظوظهم والأصلح لهم ودفع عدو بالقوة ، وإما محاربتهم ليبادوا بالواحدة وتستأصل شأفتهم لأجل أن بقائهم ضرر على أهل المدينة ، فذلك أيضا اكتساب خير لأهل المدينة " ((١))

وبالنظر في كلام المعلم الثاني السابق يتبين لنا أن الرجل يتكلم هنا عن نوع من الحرب هي الحرب المشروعة في مقابل حرب أخرى غير مشروعة ستأتي الإشارة إليها قريبا.

ونلاحظ أن المعلم الثاني يقرر أن المهمة العسكرية لرئيس الدولة تتقيد دائما بالغرض منها ، وهو دفع الظلم وإقامة العدل والنصفة . ومعنى هذا أن الحرب

(١) فصول منتزعه ص ٧٦ ، ٧٧

المشروعة المشار إليها هنا تكون كذلك متى كان الغرض منها مشروعا . ويضع صاحب المدينة الفاضلة مجموعة من الضوابط متى توافرت كانت الحرب مشروعة وكان هدفها مشروعا وتلكم الضوابط هي :

١- أن يكون الغرض منها هو رد اعتداء المعتدين وحماية الدولة ضد المغتربين عليها .

٢- أن يكون الغرض منها الحرب هو اكتساب خير تستأهله المدينة من خارج ممن في يده ذلك.

٣- أن يكون الغرض من الحرب هو حمل الآخرين على إعطاء العدل والنصفة.((١))

في ظل هذه الضوابط الثلاثة التي قررها المعلم الثاني للحرب فإن الحرب تكون مشروعة في الحالات الآتية :-

١- أن يحمل بها قوم ما ويستكرهوا على ما هو الأجود والأحظى لهم في أنفسهم. متى لم يكونوا يعرفونه من تلقاء أنفسهم ، ولم يكونوا ينقادون لمن يعرفه ويدعوهم إليه بالقول . وهذا النوع من الحرب يشبه ما نسميه اليوم بالحروب التبشيرية أو الاصلاحية .

٢- محاربة من لا ينقاد للعبودية والخدمة إن كانت رتبته في العالم أن يخدم ويكون عبدًا .

٣- معاقبة قوم على جناية جنودها لئلا يعودا لمثلها ولئلا يجترئ على المدينة غيرهم ويطمع فيها .

٤- حماية حدود البلاد بالقوة ضد الطامعين فيها . ((٢))

وتجدد الإشارة إلى أن المعلم الثاني وإن كان قيد الغاية من الحرب هنا حتى تكون مشروعة إلا أنه يبدو أنه جعل الحرب مطلقة من حيث الوسيلة . إذا رأيناه يبيح نوعا من الحرب هو حرب الإبادة ، وذلك حين يكون بقاء العدو ضررًا على أهل المدينة ، وهو لون متطرف من أنواع الحروب يقرره الحاكم مراعاة لصالح دولته ،

((١)) نظرية الدولة عند الفارابي صـ ١٠٦.

((٢)) المرجع السابق نفس الصفحة .

مما يعني أن تقرير صلاحيته وملاءمة الوسائل المستخدمة في الحرب يقدره الرئيس في إطار المصلحة العليا للدولة .

أما الحرب غير المشروعة فيشير إليها الفارابي بقوله (ومحاربة الرئيس لقوم ليذلوا له وينقادوا فقط ويكرموه من غير شيء سوى نفاذ أمره فيهم وطاعتهم له ، أو سوى أن يكرموه من غير شيء سوى أن يكرموه فقط ، أو ليرأسهم ويدبر أمرهم على ما يراه إن حارب ليغلب ليس لشيء سوى أن يجعل الغاية الغلبة فقط ، فتلك أيضًا حرب جور ، وكذلك إن حارب أو قتل لشفاء غيظ فقط ، أو للذة ينالها عند ظفره ، لا لشيء آخر سوى ذلك فذلك أيضًا جور . وكذلك إن كان غاظه أولئك بجور ، وكان ما يستأهلونه من ذلك الجور دون المحاربة ودون القتل ، فإن المحاربة والقتل جور لا شك فيه) ((١))

وبإمكاننا القول في ظل هذا التصور الفارابي للحرب غير المشروعة التي يديرها رئيس الدولة أن هذه الحروب كلها يضمها جميعًا غرض واحد وهو غرض غير مشروع ، من أمثلة الحروب التي يشنها الرئيس بهدف فرض الذلة والطاعة والخضوع على الآخرين أو تحصيل ما يعتقد أنه كرامة له ، أو المجرد الغلبة والظهور والاستعلاء ، أو الانتقام والتشفي ، أو الشعور بلذة عند ظفره وانتصاره وهذا توجه يحمد للفارابي.

٥) الأساس الخامس : السعادة

يمثل موضوع السعادة في فلسفة الفارابي بشكل عام وفلسفته السياسية بشكل خاص قيمة كبرى ويحتل مكانة بارزة عند المعلم الثاني علما وعملا ومن هنا خصه الرجل بكتابين يدوران حوله ويتعلقان به وهما / تحصيل السعادة ، والتنبيه على سبيل السعادة .

فما هي السعادة في نظر الفارابي ؟ وما مكانتها في البناء الفكري لمدينتة الفاضلة؟

في الحقيقة فإن المعلم الثاني قد جعل أساس المدينة الفاضلة هو السعادة التي

((١)) فصول منتزعة صـ ٧٧.

ينظر إليها على أنها (الخير على الإطلاق) ((١)) وفي مكان آخر يعرفها بشكل أوضح قائلًا : (وهي أن تصير نفس الإنسان من الكمال في الوجود إلى حيث لا تحتاج في قوامها إلى مادة ، وذلك أن تصير في جملة الأشياء البريئة عن الأجسام ، وفي جملة الجواهر المفارقة للمواد ، وأن تبقى على تلك الحال دائمًا أبدا .. والسعادة هي الخير المطلوب لذاته ، وليست تطلب أصلا ولا في وقت من الأوقات ليُنال بها شيء آخر ، وليس وراءها شيء آخر يمكن يناله الإنسان أعظم منها) ((٢)) ومن خلال هذا المفهوم الفارابي للسعادة نلاحظ أن الرجل يركز على النفس ودورها في بلوغ السعادة وذلك من خلال بلوغها درجة الكمال عندما لا تحتاج إلى المادة في قوامها . وتصبح مفارقة لها وتبقى على ذلك دائمًا أبدا. وهذا يدعونا إلى القول بأن (الفارابي بحكم تنشئته العقلية والفلسفية كان إلى التصوف العقلي أميل ، فهو فيلسوف عقلي وصاحب مذهب مثالي يرى العقل في كل مكان : فالله عقل ، والعالم محكوم بنظام العقل ، ولا يرتقى الإنسان إلى الله ولا ينال السعادة إلا بأن يحيا حياة العقل والفكر ويعيش بالتأمل والنظر) ((٣))

ودامت السعادة عند المعلم الثاني عقلية تقوم على النظر والتأمل الفلسفي فإن هذه السعادة لا ينحصر تحصيلها على الحياة الأخروية فقط ، حيث تستطيع النفس تحصيلها في الحياة الدنيا على قدر استطاعتها التخلص من الاحتياجات المادية والبدنية .

على أية حال فإن المعلم الثاني بعد مقاربته لمفهوم السعادة التي يجعلها أساسًا لمدينة الفاضلة ينتقل إلى الحديث عن كيفية الحصول على هذه السعادة ، وهي كيفية في النظرة الفارابية محصورة في إلمامنا وإحاطتنا بالفلسفة وفي ذلك يقول الرجل (لما كانت السعادة إنما ننالها متى كانت الأشياء الجميلة لنا قنية – يعني ملكة – ،

(١) السياسة المدنية صـ ٧٢.

(٢) آراء أهل المدينة الفاضلة صـ١٠٥ ، ١٠٦.

(٣) الفلسفة الطبيعية والإلهية عند الفارابي صـ٥٣١.

وكانت الأشياء الجميلة إنما تصير قنية بصناعة الفلسفة ، فلازم ضرورة أن تكون الفلسفة هي التي بها تنال السعادة ، فهذه هي التي تحصل لنا بجودة التمييز ..) ((١))

الفلسفة إذن هي أداتنا في بلوغ السعادة التي ينشرها في المدينة الفاضلة التي جعل المعلم الثاني أهم ما يميزها هو التعاون بين أفرادها على الأشياء التي تنال بها السعادة الحقيقية((٢)) ، فكأن السعادة هي جوهر مضمون المدينة الفاضلة والمعيار المميز لها . وعلى هذا فإن الفارابي قد جعل من السعادة محور أساسيًا ومبدأ سياسياً يستخدم في تقرير ماهية الحكم ووظيفة الحاكم وصلاحيته للحكم((٣)) ، كما جعل منها محركًا يحرك الأنشطة المتعددة في الدولة فكرية كانت أو مادية .

فحيثما كانت السعادة هدفا منشودًا يتعاون من أجلة أفراد الدولة فالمدينة فاضلة والعكس صحيح تماما عند الفارابي الذي يقرر أن المدن التي لا تعرف السعادة الحقيقية فهي مدن غير فاضلة بل هي مضادة للمدينة الفاضلة وفي ذلك يقول:

(والمدينة الجاهلية هي التي لم يعرف أهلها السعادة ولا خطرت ببالهم، إن أرشدوا إليها فلم يفهموها ولم يعتقدوها) ((٤))

وهكذا الشأن في بقية المدن غير الفاضلة التي تتعلق بالسعادة غير الحقيقية الخادعة للجماهير .

(١) فصول منتزعة صـ٦٤ ، ٩٦ ، وأيضًا تحصيل السعادة صـ٨٦.

(٢) فصول منتزعة صـ٤٦.

(٣) نفس المرجع صـ٤٧.

(٤) أراء أهل المدينة الفاضلة صـ١٣١.

أهم المصادر والمراجع

- كتاب الملة ونصوص أخرى، أبونصر الفارابي ، تحقيق د/ محسن مهدي ، ط دار المشرق الثانية – بيروت .
- اخبار العلماء بأخبار الحكماء ، القفطي ، مكتبة المتنبي بالقاهرة .
- آراء أهل المدينة الفاضلة
- الأسس النشكونية والعضوانية لفلسفة الفارابي السياسية والاجتماعية د/ عبدالمجيد الغنوشي من كتاب الفارابي والحضارة الانسانية .
- الاقتصاد في الاعتقاد الامام الغزالي ، ط سقيفة الصفا العالمية ، ماليزيا ١٤٣٧هـ ، ٢٠١٦م
- الانسان في الفلسفة الاسلامية نموذج الفارابي د/ إبراهيم عاني ، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣
- البيرنصري نادر في مقدمته التحليلية لكتاب آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي ط/ دار المشرق الثانية بيروت
- تاريخ الفلسفة الاسلامية / هنري كوربان ، ترجمة / نصير مروة ، حسن قبيسي ط دار عويدات ، بيروت الثانية ١٩٩٨
- تاريخ الفلسفة الاسلامية د/ ماجد فخري ، ترجمة د/ كمال اليازجي ، ط الدار المتحدة للنشر ١٩٧٩م
- تاريخ الفلسفة العربية ، د/ جميل صليبا ص ١٣٧
- تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية وآثار رجالها ، عبده الشمالي ، ط دار صادر بيروت ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م
- تاريخ الفلسفة في الاسلام ، ديبور ، ترجمة د/ محمد عبدالهادي أبوريدة ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الاسرة ٢٠١٣م .
- تحصيل السعادة للفارابي ، تقديم وشرح د/ علي بوملحم ، ط دار مكتبة الهلال ١٩٩٥م

- الجمع بين رأي الحكيمين للفارابي ضمن كتاب المجموع له مطبعة السعادة ١٣٢٥هـ – ١٩٠٧م
- دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية وآثار رجالها ، عبده الشمالي
- رئيس المدينة الفاضلة في فلسفة الفارابي د/ ناجي التكريتي من العدد الثاني مجلة المورد العراقية لسنة ٢٠٠٢م .
- السياسة المدنية الملقب بمبادئ الموجودات للفارابي ، تحقيق د/ فوزي متري النجار ، ط المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٤م
- ظهر الاسلام أ/ أحمد أمين ، ط المكتبة التوفيقية بالقاهرة .
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء – ابن أبي أصيبعة ، تحقيق د/ نزار رضا – ط دار مكتبة الحياة بيروت.
- الفارابي د/ سعيد زايد ، ط دار المعارف بالقاهرة
- الفارابي د/ مصطفى غالب ط دار مكتبة الهلال بيروت ١٩٧٩م
- الفارابي عربي الموطن والمربى . د/ ناجي معروف ضمن كتاب الفارابي والحضارة الانسانية ط مطابع دار الحرية بغداد ١٩٧٥هـ
- الفارابي والمدن غير الفاضلة / محمد الجوة ، مجلة الفكر العربي المعاصر عدد ٩٨ – ٩٩ لعام ١٩٩٢م
- الفكر السياسى عند الفارابي . د/ وليد رستم
- الفكر السياسي عند الفارابي ، وليد فستق
- الفلسفة الاسلامية د/ أحمد فؤاد الأهواني ، ط دار القلم بالقاهرة ١٩٦٢ م .
- الفلسفة الاسلامية د/ رجاء أحمد علي ص ٦٩ ط دار المسيرة للنشر والتوزيع ٢٠١٢م
- الفلسفة الإسلامية في المشرق د/ فيصل بدير عون ط مكتبة الحرية الحديثة عام ١٩٨٢م
- الفلسفة الطبيعية والإلهية عند الفارابي د/ زينب عفيفي ، ط مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة /٢٠١٦م .

- فلسفة الفارابي السياسية : دراسة في علاقة الفيض بالعلم المدني / ضرار على بني ياسين من مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية بالجامعة الأردنية مجلة ٤٢ عدد ١ عام ٢٠١٥م
- فلسفة الفارابي للمجتمع والدين . موسوعة ستاتفورد للفلسفة ، ترجمة عمرو بسيوني ، مي فؤاد ، منشور بمجلة حكمة عام ٢٠١٨م
- الفلسفة والدين في مدينة الفارابي الفاضلة د/ عزمي طه السيد ، ط عالم الكتب الحديث ٢٠١٥م
- في الفلسفة الاسلامية قضايا ومناقشات د/ محمد عبدالستار نصار ط مكتبة الانجلو بالقاهرة ١٩٨٢م
- في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه د/ إبراهيم مدكور ج١ ، ط دار المعارف بالقاهرة .
- فيلسوف العرب والمعلم الثاني ، الشيخ / مصطفى عبدالرازق ط ١ الحلبي ١٣٦٤ هـ – ١٩٤٥ م
- كتاب الفارابي والحضارة الانسانية وقائع مهرجان الفارابي المنعقد في بغداد ١٩٧٥ .
- ما وراء الطبيعة السياسية في تفكير الفارابي روجيه أرنالديز ، ترجمة د/ أكرم فاضل مجلة المورد مجلد ٤ عدد رقم ٣
- المجتمع المثالي في الفكر الفلسفي وموقف الإسلام منه د/ محمد سيد احمد المسير ط/ دار المعارف بالقاهرة .
- مدينة السماء ومدينة الأرض بحث في جل الأخلاق والسياسة عند الفارابي د/ أحمد إد علي ضمن أبحاث المؤتمر الدولي الرابع السياسي في البلاد الإسلامية الفكر والأنماط والأماكن.
- المدينة الفاضلة بين أفلاطون والفارابي دراسة مقارنة د/ حامد طاهر ط القاهرة ١٩٨٦م
- مع الفارابي والمدن الفاضلة أ/ فاروق سعد

- معجم الفلاسفة . أ/ جورج طرابيشي ، ط دار الطليعة بيروت الثالثة .
- من المعرفة إلى العقل بحوث في نظرية العقل عند العرب د/ محمد المصباحي ، ط دار الطليعة بيروت ١٩٩٠م
- من تاريخ الفارابي إلى تاريخيته د/ محمد عزيز الحبابي ضمن كتاب الفارابي والحضارة الانسانية
- المواقف ، الامام عضد الدين الايجي مع شرحه للشريف الجرجاني ، ط مطبعة السعادة ١٩٠٧ م
- نظرية الدولة عند الفارابي د/ مصطفى سيد أحمد صقر ، ط مكتبة الجلاء الجديدة بالمنصورة ١٩٨٩م .
- نماذج من فلسفة الإسلاميين د/ سامي نصر لطفي ، ط مكتبة سعيد رأفت ١٩٨٣